في مكتب صديقي السري

عنوان الكتاب: في مكتب صديقي السري
نوع العمل: رواية
التأليف: سلمى عاشور الصعيدي
مراجعة لغوية: سواح للخدمات عبر الإنترنت
الإخراج الفنيّ: عمرو سالم سواح
تصميم الغلاف: حسن العربي
رقم الإيداع: 2019/28590
الترقيم الدولي: 978-977-844-093-5
الناشر: دار الزيات للنشر والتوزيع
Facebook Page: دار الزيات للنشر والتوزيع
E_mail: shahnda71@gmail.com
مجلس الإدارة/ د.شاهندة الزيات
المدير العام/ أ.محمود محروس إبراهيم
Tel: 01066736765
01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار الزيات
المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم /٤٩٣٥١

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

رواية

في مكتب صديقي السري

الكاتبة

سلمى عاشور الصعيدي

الإهداء

_ لروح جدتي الغالية، لقد عانيت في غيابك الكثير، طيب الله مسكنك الجديد أنتِ وكل الراحلين عن عالمنا حتى يجمعنا بكم الله على خير.

_ لأمي وصديقتي منذ كنت في الرحم أغامر للخروج للحياة لتظل هي عكازي لخمسة وعشرين عامًا أطال الله عمركِ غاليتي.

_ لأبي وإخوتي لولاكم ما قاومت وما عدت للكتابة مجددًا بعد انقطاع خمس سنوات.

_ لريم صاحبة الفضل الأكبر في عودتي للكتابة وتحمل الحالة المزاجية التي دخلت فيها وأنا أكتب هذه الرواية.

_ لرشا عبد الله وزوجها أ/ إبراهيم خالص حبي وتقديري على كل دعمهما.

_لمريم عادل كل الحب على دعمها وتشجيعها لي وتحملها طفولتي المزعجة.

_ د/ شاهندة الزيات طابتْ لكِ الدنيا وأدركتْ عناية الله قلبكِ في جوف المخاطر .

_ الجميلة /أحلام محسن شكرًا لوجودك ودعمك .

_ النقيب / أحمد اللوزي وزوجته د/ هدير عثمان خالص حبي أدام الله وجودكما.

_المهندس/ مصطفى عصام كان لك الفضل في أن أعود مجددًا شكرًا لك .

_ لكل من ساعدني بكلمة لأواصل الكتابة من جديد لعلها تجربة جديدة لي وأتمنى أن تكون نالت إعجاب القارئ ومن يحب كتاباتي.

_ لدار النشر كل الشكر والعرفان بالجميل لقبولها العمل.

*****

يوميات في مكتب صديقي السري

عليّ أن أروي هذه المغامرة بكل تفاصيلها بعد الكتمان على أحداثها لسنة كاملة خوفًا من أن أرسل للمستشفى مجددًا. لا أحد يصدقني هنا سوى أمي لكن في كلامها شفقة تقول أن ما أتحدث به من أثر الصدمة.

لكن الأمر حقيقي قد حدث بالفعل أين أنت لتخبرهم أن حياتنا خلال ست سنوات كانت حقيقة يظن أهلي أنه تم اختطافي من قبل أشخاص أعداء جدي يسعون للانتقام منه من خلالي لأن جدي ترك لي يومياته التي لا يعلم عنها أحد ولا أفهم لماذا يسعى العدو خلفها أنا حتى لم أكن أعرف مكانها.

ما تبقى لي منك فقط (دفتر ممزق غلافه) لو أستطيع لمس يدك لثوانٍ وأتحسس وجهك كما ألمس هذا الدفتر! اشتقت إليك.

هذه الحكاية لا بد أن تحكى الآن كيف تحولت من عالمي لعالم آخر وكيف تقبل عقلي فكرة ابتعادي عن أهلي، أعيش حالة من التردد الآن هل أقرأ ما قد دونته بعد عام حاولت فيه عدم التقرب من هذا الدفتر ورغم أن كل الأحداث في عقلي لا تذهب لكن بعضها مشوش وهذا الشاهد الوحيد على ما حدث.

بدايةً.. لولا كل ما حدث ما عرفت سر العائلة المخبأ لسنوات، وما عرفت معنى الحب ومعنى أن يسعى شخص لإرضائك عبر تفاصيل صغيرة تمكن هذا الرجل من جعلي لا أريد العودة لعالمي والبقاء في عالمه لكنه القدر.

ذهبت لأفتح الدفتر وكلي رهبة من أن تكون كلماتي قد تلاشت ولا أجد ما يثبت أنك موجود ببطء حاولت فتح الدفتر خوفًا من المجهول الذي ينتظرني والخوف الأكبر أن أفقد ما تبقى من الغلاف كل ما يذكرني بك غالٍ على قلبي حتى بقايا الغلاف عاملتها برفق كما لو جرح جرحا لي أحاول ألا يخدش مرة أخرى.

وجدت خطي مكتوبا بوضوح ومنظما لم يفقد الدفتر شيئا سوى الغلاف أصبح معدمًا تقريبًا ما تبقى منه سوى قطع على وشك الذوبان ولون الورق قد تغير للأصفر وبعض حبات الرمال على الورق.

الصفحة الأولى كما هي بها حكمة العجوز وبدأت أقرأ من الصفحة الثانية:

اسمي: سلمى

يقال إن معنى اسمي: السالمة والناجية والخالصة من كل شر.

وربما لم أنل من الاسم أي شيء سوى التخلص من الشر في اللحظات الأخيرة وهذا لا يحدث دائما لكنني بحاجة لحدوثه الآن.

يوم الجمعة من كل أسبوع كانت عادتي زيارة جدتي حيث تمكث في قبرها ومنزلها الصغير جدًّا ولا أدري ماذا يحدث بالداخل هل تسمعني؟

هل يصل صوتي ودموعي ومشاعري ودعواتي؟

كل الأسئلة التي دارت في عقلي لم أجد إجابة حاسمة لها وإن حاولت الاقتناع بإجابة، كان عقلي يفرض إجابته علي قائلًا: إن الراحلين يتواصلون برسائل عبر الأحلام تشعر بها القلوب فقط

كل شيء يقال إن حله بالقلب فهل سأجد طريق العودة بقلبي؟

بعد صلاة الجمعة ذهبت لزيارة جدتي في المقابر حاملة زجاجة بها مجموعة من الحصى البيضاء في حقيبتي كنت أقوم بتجميعها كل جمعة من على الأرض في المقابر كنت أحب جمع الحصى وكأنها شيء من جدتي تمنحني إياه ربما خرافة لكن كانت تسعد قلبي وتمنحني الصبر على فراقها.

رحلت جدتي منذ عام لكن ما أصعب أحداثه على مشارف دخول عامي الخامس والعشرين وذهبت حاملة لها رسالتي، كبرت عامًا آخر يا جدتي من دونك لم يتبق من جمالي شيء ولست أجمل بنات الحارة كما كنت تقولين من شدة الحزن على رحيلك، مشوار عمري سينقصه وجودك ومن يوم غيابك والدنيا تجدد صفعاتها لي.. اشتقت إليك.

تركت الرسالة على القبر كل من يزور جدتي يراها، وانهار دمع عيني كفيضان لم أنتبه كيف مر الوقت في البكاء وحكايتي لها عن شوقي لها وكم هو مؤلم غيابها.

وجدت شيئًا يقترب من قدمي نظرت لأجد كلبًا أسود اللون يتحسس قدمي بلسانه لم أنتظر حتى صرخت بكل قوتي ونهضت أجري للخروج من المقابر سقطت حقيبتي على الأرض وحاولت العودة لحملها لكن الكلب كان يقترب مني وكأنه يريد أن أخرج من هنا كنا بعد صلاة العصر وقبل الغروب بلحظات حاولت البحث عن قطعة من الحجر لرميه بها ليبتعد لأحصل على حقيبتي لم يمنحني فرصة حتى وجدت حجرًا صغيرًا حاولت تخويفه به فغادر المكان مسرعًا. حملت الحقيبة لقد سقط منها البرطمان الزجاجي وانكسر حاولت تجميع الحصى كانت سقطت كلها داخل حقيبتي ما عدا ثلاث من الحصى على الأرض حاولت تجميعها فقد تناثر

كل واحد في اتجاه وما أن حصلت عليهم ونهضت من على الأرض لأسرع للمنزل أغلقت بوابة المقابر حاولت مناداة الحارس لكنه لم يسمع صوتي وكأن لا أثر له وهو دائما يجول في المكان ليلًا ونهارًا لأنه مؤخرًا قدم أهل الحي شكوى أن فئة من الشباب يقضون الليل في المقابر مع المخدرات فهذا المكان منبع الأمان من يد الشرطة التي تسعى للتفتيش عنهم على المقاهي نتيجة تهربهم من أحكام عليهم، حاولت الخروج من الباب الخلفي لكن في نصف المقابر سقطتُ على الأرض وفقدت توازني بالكامل حتى غبت تمامًا عن الوعي.

أحاول فتح عيني صداع يتمكن من رأسي أريد الصراخ من شدة الألم والمكان مظلم جدًّا ولا أستطيع التنفس أين أنا؟

هل حل الليل في المقابر وما زلت هنا؟

قاومت لأتحرك من مكاني ولم أستطع التحرك لا بد أني مكبلة ظننت في بادئ الأمر أنه كابوس يطلق عليه الجاثوم يتحكم بي ويشل حركتي لكن كنت أسمع همس وصوت أقدام نحوي أنا حية لم أمت لكن مشكلة التنفس تزداد ما الذي يحدث هناك شيء يلمس جسدي!

هناك شيء حملني الآن لا أظنه شخصا لكن لأعرف توضيح الأمر حاولت التحدث أين أنا؟ ومن أنت؟ من هناك؟

لم أتلق أي صوت ولا رد فعل شيء يحملني ويتحرك حتى استطعت فتح عيني جيدًا للوهلة الأولى ظننت أني داخل مقبرة كل ما حولي أسود غير واضح المعالم فجأة ظهر النور في عيني.

مرحبًا هنا الليل ساعة واحدة فقط لا تتحركي حتى الصباح سنناقش الأمر.

من يتحدث؟ لا أرى أحدا واختفى النور ثانية حاولت التحرك يدي وقدمي مكبلتان بالأحبال على ما أظن لا قدرة لدي على تحريكهما.

صوت شخص يحمل صدى صوت هل الموت سهل لهذا الحد هل هذا ملك الموت؟

لم أعرف في تلك الليلة معنى للنوم سوى الخوف والبكاء بصمت حتى أتى الصباح سمعت صوت باب يفتح ويغلق حاولت التحدث بصوت عال: أين أنا؟ أريد توضيحا لا أرى شيئًا المكان كله مظلم جدًّا وعيني من البكاء تؤلمني أشعر أن ضغطي ينقص ويتزايد بسرعة مرعبة أخاف فقدان توازني أشم رائحة شيء عفن هل مات الكلب بجانبي؟

أتى صدى الصوت: لو كنت أعرف من أنت لما حملتك إلى هنا، المزيد من الصبر حتى يتم فحص جسدك لنعرف وضع حالتك؟

فحص جسد هل هم أطباء يسرقون أعضاء الجسد السليمة ثم يلقون بالجثث في النيل أو في القمامة؟

صرخت ولم أتوقف ماذا ستفعلون بي؟ لن يلمسني أحد وزاد الصراخ حتى كتم صوتي بيده

أتذكر جيدًا رائحة يده تشبه رائحة خشب الصندل واختفت الرائحة العفنة هل هذه رائحة الدم من مكان عمليات أخذ الأعضاء من الجسد؟

اقترب مني وهمس في أذني: عليك بالهدوء حتى لا أقتلك لن أقوم بفك الأسلاك إن لم تصمتي تمامًا وأي مجادلة سأقطع رأسك وننتهي من هذه المصيبة.

لا أعلم كم بقيت على هذا الكرسي حتى فتح المصابيح وعيني ظلت تحرقني حتى لدقائق كنت أرى كل الصور مهزوزة لكن لم أجد صاحب الصوت.

لا أعرف أين تقع تلك الغرفة لكنها واسعة جدًّا لون الطلاء أسود جوها كئيب ومخيف ليكمل حالتي السيئة من الرعب الذي أشعر به وأساس المنزل نفس اللون الأسود يغفر له أن المصابيح لا تصدر الضوء الأسود لهذا عندما تغلق المصابيح يكون من الصعب رؤية شيء.

الغرفة واسعة لكن لا يوجد بها سوى مكتبة كبيرة ومكتب وكرسي طويل جدًّا يشبه كرسي ملك خشبه ذهبي وقماشه أسود وأريكة لونها بني غامق ربما لونها أسود لكنها الإضاءة تحاول تجديد اللون لا أعرف؟

وسجادة على الأرض سوداء في رسوم بيضاء لا أفهمها كل هذا ما استطاعت عيني تسجيل رؤيته بعد الكثير من التركيز والتغلب على صداع رأسي تمكنت من استعادة النفس بطريقة أفضل من أمس لكن ما زال قلبي يشعر بغصة غريبة لم أفسر حدوثها جيدًا لكن ربما من غرابة المكان وجهلي به.

ناديت مجددًا: هل من أحد هنا؟

طرق الباب نظرت أترقب من يكون؟ وماذا يريد مني؟ وكيف وصلت لهذه الغرفة؟ فالكرسي الذي أجلس عليه موقعه بجانب باب الغرفة مؤكدًا هذا ليس العالم الآخر ولا مقبرة دخلتها دون وعي أو تم دفني بواسطة أحد.

فتح الباب فنظرت بطرف عيني اليسرى فالباب يقع على يسار الكرسي الذي أجلس عليه لمحت يده بياضها كالنقاء في السحاب

وعروقه بارزة وملحوظة لونها أزرق يرتدي خاتمًا عليه رسمة عقرب أو حشرة لم أترجم شكلها جيدًا لكن خمنت أنها عقرب سوداء ما حكاية هذا الرجل مع الأسود؟!

وحاول الدخول لوحت برأسي ناحية ستار يغطي شباكا طويلا وتلاشيت النظر له، حتى دخل وسحب كرسي المكتب ومكث أمامي وظل ينظر لي استجمعت قوتي ونظرت له عقلي لم يستوعب أن هناك من يعيشون على الكوكب بهذا الشكل وكيف تمكنت عيني من الإمعان لتصديق الأمر. مظهره أكثر شبابًا لكن عينه غريبة حقًّا تصدر صوتًا كلما تحركت جفونه كصوت دقات الساعة، طويل جدًّا حين جلس على الكرسي الطويل كان يغطي ظهر الكرسي بأكمله، يرتدي قبعة سوداء وجاكتا أسود تحته قميص أبيض اللون وحذاء عليه نفس العقرب الموجود على الخاتم من مظهره هو شخص قوي جدًّا لكنه ينظر لي بتعجب ويحاول التقرب مني لينظر لعيني كنت أرتجف كلما حاول التحرك نحوي يبدو غريبًا طوله لا يستوعبه عقل... ما الحكاية؟

قررت التحدث إليه؟

من أنت؟ هل تعرفني رجاءً أريد العودة لمنزلي.

قال: لا أعرفك ولا أفهم كلماتك حاولي تهدئة نفسك قليلًا

صدى الصوت في كلامه غير مفهوم لماذا لغته غير واضحة وليس عاديًّا مثلنا؟!

سأغادر الآن لدي عمل في المساء سأقوم بفك الأسلاك حين أعود، من مصلحتك للعيش ألا تفتحي فمك سيقتلونك هنا لو خرج نفسك بصوت أعلى من العادي.

من هذا الغريب؟ ولماذا يربطني بالأسلاك؟ وما هذا الهراء الذي يتفوه به؟ من سيقتلني؟ وما علاقة صوت نفسي بقتلي؟

قام ساحبًا الكرسي معه أعاده أمام مكتبه وأغلق الباب بمفتاح وخرج.

يا رب لا حيلة لدي ساعدني لم يكن يقلقني أمر أحد غير أمي ألحت علي أن تأتي معي ورفضت بشدة كنت أريد أن أبوح لجدتي بما يؤرقني مؤخرًا فدموعي تؤلم أمي ولا أحب أن أزيد الأمر عليها لهذا أقنعتها بالذهاب بمفردي.

ستتصل صديقتي على رقم هاتفي الآن وعائلتي لن تجد الإجابة لا أعرف أين هاتفي ربما يعرف هذا الرجل الغريب الملامح حين يعود سأسأله ربما وجده في الحقيبة والحصيات الثلاث لكن لا أثر لها أعتقد أنه يخفيها.

سمعت أصواتا تصدر من الشارع تشبه صوت سيارة الإسعاف خمنت أني في مستشفى وهذه غرفة سوداء للموتى وجثثهم لكن لماذا داخلها مكتب هل سيشرح الطبيب جثتي هنا في مكتبه ولكن أنا حية ما العمل الآن؟ هل أصرخ لأستغيث بأحد ليساعدني لكن ماذا لو كان كلامه صحيحا سيقتلونني؟

لساعات طويلة مكثت على الكرسي أفكر في كل الاحتمالات التي تجعلني هنا وحتى عاد وفتح الباب كان قد بدل ثيابه كانت مختلفة عن ثياب الصباح يرتدي معطفا طويلا جدا على بنطلون جينز من طول معطفه عرفت أنهم هنا بنفس الإحجام أو أن عيني أصابها شيء وقبعة سوداء جديدة عليها قطعة معدنية لامعة صغيرة أعتقد أنها صنعت من الحديد على شكل العلامة التي تظهر على خاتمه وشراب أسود وحذاء مفتوح من الأمام غريب الشكل لا

يباع في الحي أو حتى في المدينة كلها أي بلد هذه يا ترى؟

دخل بلا صوت لكن صوت جفن عينه حين يتحرك ما زلت أسمعه كعقارب الساعة ونزل على الأرض ليفك الأسلاك من قدمي سألته عن حقيبتي والهاتف لم يرد ثم فك أسلاكا من يدي ثم ضغط على باقي أزرار المصابيح وأشعل نورا في الغرفة كلها مصابيح كثيرة في سقف هذه الغرفة ونظر لعيني بغرابة لا أفهمها وكأنه من كوكب آخر يستكشفني وكنت أستعد لتشريحي الآن ظننته شريرا سيتلذذ بتشريحي حية وقال:

رائحتك عفنة جدًّا لا تخرجي من هذه الغرفة حتى أستيقظ من النوم لا أريد إزعاجا النوم هنا ساعة واحدة فقط.

كنت في هذا التوقيت يغلب النعاس على عيني حتى خرج وحمل الأسلاك معه وانتظرت لدقائق تحركت من على الكرسي بصعوبة وشعرت بوجع في كتفي ربما من الأسلاك وذهبت للنوم على الأريكة كان عائدًا متعبًا ومنهكًا جدًّا نبرة صوته تحمل هبوطا ومجهودا مبذولا وصعوبة في التنفس لا أعلم أي عمل يعمل هذا الرجل ملابسه ساحرة للغاية ونظيف جدًّا ورائحة خشب الصندل تفوح منه بشدة مشيته غريبة خطوتان ويقف ويواصل مرة أخرى المشي هكذا ولا ينظر وراءه ويسمع كلامي ولا يجيب.

كنت أخاف النوم حتى غفوت بعد مقاومة لا سلطان على النوم كما يقال في أي مكان ستنام مهما كان المكان النوم أقوى منك.

استيقظت بعد دقائق قفزًا من على الأريكة للأرض رأسي تؤلمني لا أستطيع تحمل الألم صرخات تخرج مني فجأة لا أتذكر اسمي ومن أكون وأين أنا ومن عائلتي وكأني كنت أفقد ذاكرتي

بمساعدة فيرس لعين لم أتردد لحظة أن هذا الرجل هو السبب ربما حقن جسدي بشيء جعلني أفقد ذاكرتي ذهبت باتجاه المكتب لتدوين رسالة وربما كل ما أتذكره فذاكرتي تفقد الكثير وأخاف أن أنسى من أنا؟ومن تكون عائلتي وعالمي الذي أعيش فيه؟

كنت أحاول بكل جهد وألم كتابة كل ما أتذكره، تعرض عقلي لصدمات وضغط غير عادي لا أستطيع تفسير أي شيء، كنت أبحث عن دفتر أسجل فيه، فتشت في كل الأدراج بصوت خافت خوفا من أن يستقيظ فيحاول تخويفي مجددا أو تعنيفي بكلمات تبكيني، لكنه سمع صوت الأدراج واستيقظ بنظرته الحادة التي أشعلت الرعب بقلبي ونظر إلي رافعا كفه نحوي خشيت أن يضربني وقال بصوت مخيف عال جدا أصاب قلبي بالهلع: "قد أخبرتك أن الليل هنا ساعة واحدة فقط ويحل الصباح، هذا ليس عالمك إنكِ هنا مجرد ضيف إلى أن تجدي طريق العودة لا تجعليني أصفعك على وجهك فقد مر يوم وتصرفاتك لا تحتمل ما وجدت شيئًا تفعلينه سوى البكاء وإزعاجي ليلا، ماذا تريدين من الأدراج؟".

تردد الصوت كان لأثره إزعاج في الأذن وكنت أرتجف من الخوف ولم أستطع فتح فمي حتى لأجيبه.

رمى بعنف كل الكتب الموجودة على مكتبه وفتح الأدراج وألقى بكل ما يوجد داخلها على الأرض وقال: الآن قد أصابك الخرس والصمت التام حين حاولت سؤالك لكن عند نومي تفتعلين أي شيء لإزعاجي ماذا تريدين من الأدراج ومن أنت؟

أجيبي دون بكاء فقد مللت من تصرفاتك المزعجة وما هذا الذي ترتدينه رائحته عفنة تعج الغرفة بها ولماذا تنكمشين خوفا كلما حاولت التحدث إليك؟

قلت بصوت مبهم وغير واضح متقطع من الخوف: (أ أ ر ي د د د ف ت ر ر وو قللمم)

أظن لم يفهم ماذا أقول أخذ يبحث بين الكتب الملقاة على الأرض بعنف وعصبية ورمى ورقة وقلما وقال: اكتبي ماذا تريدين من الأدراج في هذا الوقت؟

كتبت ويدي ترتجف: أريد دفترًا وقلمًا، أفقد ذاكرتي وأريد تدوين ما أستطيع تذكره قبل أن يتلاشي ولا أعلم أين أنا وبكيت وأنا أكتب وعينه تنظر إلي بنظرة انتقام وتصدر صوت عقارب الساعة مع كل حركة جفن وتركت الورقة والقلم أمام قدمي وحاولت أن أبتعد زاحفة بعيدا عن الورقة لأصل لزاوية الغرفة خوفا من أن يثور مجددًا علي فحالته لا تبدو كشخص طبيعي على الإطلاق.

حمل الورقة وقرأ بصوت عال ما كتبته ثم قال: سوف يتم معاقبتك على إزعاجي في الليل ستمكثين في هذه الغرفة لثلاثة أيام لا طعام ولا خروج منها ولا يوجد لدي دفتر للتدوين كلها كتب وإن لمستِ شيئًا منها سأقطع لك يدك بالسكين الحاد الذي أستعمله لتقطيع الموز من الشجر الذي أكرهه كما أكرهك الآن قد تبقى على موعد استيقاظي عشر دقائق من سيمنح عقلي الوقت الذي ضاع من النوم أيتها الغبية.

ثم خرج وأغلق الباب بالمفتاح وحاولت كتم صوت البكاء حتى مرت الدقائق وحل الصباح وحاولت الذهاب نحو الشباك ببطء

ونظرت من خلف الستار.

الصباح في هذه المدينة جميل جدا وحديقة هذا البيت ساحرة لكن لا أعرف أين أنا، أشتاق لعائلتي كثيرا ماذا فعلوا حين اكتشفوا غيابي؟ وماذا حل بهم؟ وهل تبكي أمي كثيرا وإخوتي؟

سمعت صوت باب يغلق ومن وراء الستار وجدته يخرج للحديقة يعتني بالزرع لأكثر من ساعة حسب توقيت ساعة يدي الذي لا يناسب توقيت ساعة الغرفة التي أمكث فيها. معلق على الحائط ساعة غريبة مدون فيها سبعة أرقام فقط لم أقارنها بساعة يدي لكنها ليلا تصدر صوتًا مزعجًا تجعله يذهب لغرفته للنوم. أخذت كرسيا من الغرفة وضعته عند الشباك وجلست أراقب ماذا يفعل؟

بشرته بيضاء جدا وعينه البنية مرعبة لا تبدو حنونا على الإطلاق وملامحه حادة يشبه مجرما هاربا من العدالة ولا يتحدث مع جيرانه أبدا، أهل كل البيوت حوله يخرجون للاعتناء بحديقتهم فور استيقاظهم ويلقون التحية مبتسمين لبعضهم البعض إلا هو لا ينظر إلى أحد، تصرفات أهل المدينة غريبة في هذا الصباح، كلهم في وقت واحد يهتمون بالزرع، لا علم لي أي فجوة زمنية قد رمت بجسدي إلى هنا.. هل عالم الموتى بهذا الشكل؟!

إنه انتهى من الاعتناء بحديقته وصعد للمنزل ومكث ما يقارب نصف ساعة كنت أرتجف فيها وكأن البرد قد حل على المدينة وتمكن مني فقط. بقيت على هذا الحال يومين تتضور معدتي جوعًا وعطشا ولا أقوى على التحرك كثيرًا من شدة الجوع والبرد لماذا ثار علي وكأن عدوا له يؤذيه لم يقدر حالتي حتى بعد ما شرحت له ماذا أريد.

الصداع لا يتوقف أفقد كل ما رغبت التفكير به لا أتذكر سوى أمي وأسأل هل لي أب أو إخوة وما اسمهم؟ على هذا الحال طوال اليوم أتذكر ثم أنسى.

في صباح اليوم التالي رمى ورقة من تحت الباب وسمعت صوت الباب مرة أخرى يغلق اشتد الرعب في قلبي ما هذه الورقة وماذا كتب فيها؟

فنظرت من الشباك ومن وراء الستار وجدت عربة طويلة جدا تقف أمام كل بيت ويصعد إليها كل فرد واقف أمام بوابة منزله وتصدر العربة صوتا موسيقيا هادئًا جدًّا، صعد إليها ونظر باتجاه الشباك فتركت الستار بسرعة واتجهت نحو الباب أسأل نفسي هل كان ينظر لي، هل عرف أني أراقبه من خلف الستار؟

نظرت للورقة على الأرض وارتعبت من شدة الخوف ماذا يريد القدر مني؟

اللعنة على الحصيات البيضاء الثلاث أعتقد أنها السبب في كل ما يحدث ولكن هل ثلاث من صغار الحجارة تفعل كل هذا؟

وحملت الورقة وقرأت: هنا لا ينظر من خلف الستار على أهل المدينة قد يقتلونك لأنك غريبة حين أعود سأحاول قتلك. أنا أُفَضِّل. تحت السجادة تركت مفتاح الغرفة يمكنك تناول الطعام والنوم سنناقش عند عودتي الطريقة التي تفضلين الموت بها، ملحوظة: لا تحاولي الهرب الباب مغلق وأي محاولة سيقتلك حراس المدينة تبدأ حراستهم للمنازل بعد نصف ساعة من الآن.

روحي التي ترتجف رعبًا من المرتفعات وتخاف الموت كلما شعرت أنه يقترب، خافت روحي في هذا اليوم من هذا الرجل ومنزله ومدينته التي لا أعلم على أي خريطة قد أجد موقعها؟

لا أعلم ما هي النصف ساعة بتوقيت هذا الرجل ومن حراس المدينة وكيف سمح لي بالنوم وتناول الطعام وهل حقًّا سيقتلني وماذا عن عائلتي؟

رغم الخوف الذي لا يهدأ داخلي ورغم أني ظننت أنه سوف يتم حبسي حتى الموت في هذه الغرفة وأني كنت خائفة في أول الأمر. إن خرجت قد يكون دبر لي شيئًا لقتلي أو أن الطعام مسمم. على الرغم من ذلك كله بحثت عن المفتاح تحت السجادة فوجدته وحاولت فتح باب الغرفة. ببطء قدمي اليمنى تتحرك للأمام وتعود خطوتين للخلف وكأن الشلل قد أصاب القدم اليسرى كنت أسحبها كما أسحب الكرسي من أرجله زحفًا، خوفا من أن يدبر لي كمينا لقتلي وخرجت لأكتشف هذا المنزل المرتب بعناية في كل تفاصيله الساحرة كالحديقة والغرفة أيضا بعد الكثير من المحاولات للحركة دون أن يتمكن الخوف من جسدي فتقف قدمي اليسرى من شدة الخوف أفقد تحكمي بالحركة.

وجدت منضدة صغيرة عليها الطعام كنت جائعة جدًّا وخائفة من تذوق أي شيء، سقف هذا المنزل غريب مرسوم فيه صور لأطفال صغيرة يبتسمون ورائحة البيت كأننا قد عصرنا كل الزهور لنخرج عطرا خاما ينسكب في أرجاء هذا البيت لا أتحمل قوة الرائحة رغم أنها مهدئة جدًّا للأعصاب لكنها أفقدتني الشم في الدقائق الأولى وربما الساعات لا أعرف ما الوقت هنا حتى اعتدت عليها، نظرت لجدران البيت كله رسوم وطلاسم لا أفهمها لا أعرف بأي لغة قد كتبت لكنها مؤكدا لغة هذه البلد لكن كيف فهم كتاباتي إن كانت هذه لغتهم؟!

تغلب الجوع على معدتي وأصدرت أصواتًا معلنة احتياجها للطعام وذهبت لتناوله حتى لو كان مسمما لم أستطع التحمل أكثر من ذلك لو كنت أسيرة حرب لما تضورت جوعًا بهذا الشكل. وجدت ورقة بجانب الأطباق مكتوبا عليها: الطعام ليس مسمما يا غبية.

علامات الدهشة على وجهي كانت بحاجة لأن تسجل عبر الكاميرات الهامة للباحثين في لغة الجسد وردود الأفعال الغريبة إثر الصدمات وكانت كلماته هذه أكدت لعقلي أن الطعام مسمم ويريد موتي لأنه لا يعرف كيف يتصرف تجاهي أعتقد أنه يسعى لقتلي والتخلص مني للحصول على أعضاء جسدي إنه لا يعرف أن جسدي مريض ولدي بعض الأعضاء في حالة خلل في عملها لقد تعب الأطباء كثيرًا معي لا توجد أدوية لوضعي حتى المسكنات لم تعد تجلب أي نتيجة.

وجدت شاشة تلفزيون كبيرة جدًّا تبدو كشاشة السينما تغطي كل الحائط وقفت أمامها منبهرة كان حلما لي أن أشاهد مسلسلاتي المفضلة في شاشة كبيرة تشبهها حتى صرخت فجأة حين صدر صوت رجل وظهرت صورته على الشاشة يقول: الساعة الأولى معك مراسل نشرة الكوكب الأخضر وجدتها تعمل من نفسها ووجدت رجلا. يبدو أنها نشرة الأخبار يقول: الكوكب الأخضر خلال العشرين عاما القادمة سوف يحتل العالم من مكان العمل أو من البيت إن كنت في إجازة للراحة أو للتعافي من المرض سنبلغك بكل ما يحدث حولك ويشير لإحصائيات لا أفهمها كنت منبهرة أبحث خلفي عمن سمح للشاشة بأن تعمل وهل تعمل من تلقاء نفسها حتى ظهرت صورة صاحب البيت على الشاشة فأصابني

الرعب فابتعدت عن الشاشة بذعر متجهة نحو غرفة المكتب حتى وقفت أمام طاولة الطعام فأغلقت الشاشة، ما كان لدي فضول لتجربتها من شدة خوفي أن أسبب أي خطأ فيقتلني كما كتب في الورقة.

وعادت أصوات معدتي مجددًا حتى اعتصرت معدتي جوعًا وتذكرت أمي حين كنت أعترض على الطعام وكعادة أي أم مصرية تقول:(هناك الكثير يتمنون أن يجدوا قطعة خبز تسد جوعهم).

جلست تناولت قطعة صغيرة من الجبن الأبيض وكوب ماء وكأن الماء قد منع مني لسنين وكأن الحرب قد حلت على مدينتنا ولا أحد أصابه العطش كحالي شربت كل الماء حتى تألمت معدتي وامتلأت ولم أنتبه إن كان الوجع من الماء أو أن قطعة الجبن مسممة. على كل حال لا مفر من الموت حين يختم ملك الموت تصريح أخذ الروح من الجسد، وذهبت لغرفة المكتب من شدة الألم جلست أبكي على تلك الأريكة التي ضمتني إليها كلاجئة خائفة من كل شيء تدوسه بقدمها وتمكن النوم من عيني حتى نمت على الأريكة بنّيّة اللون ولا أعلم كم من الوقت قد غفوت لكن استيقظت على صوت الباب وهو يفتح وتعود الرجفة تتمكن مني وتزيد ضربات قلبي كاد هذا القلب يتوقف في كل مرة أسمع صوت الباب أو أرى هذا الرجل لكنه ستر الله قدر لي العيش حين أيقنت أنه لا مفر من الموت واستيقظت لأجدني على قيد الحياة لم يتمكن السم في قطعة الجبن من قتلي بعد، كان يكتب للروح التنفس من جديد.

دخل البيت ولم يقترب من غرفة المكتب أبدا لوقت طويل كنت فيه أحاول تجربة التنفس من الأنف فقد فقدته من شدة

خوفي ليساعدني فمي على التنفس لكن صوتا آتيا من الخارج كان عاليا ربما الشاشة أو راديو أو جهاز محمول لا أعرف؟

سمعت صوت يقول: مرحبا يا سيدى يسعدنا عودتك ولنبلغك بكل ما حدث في غيابك، لا أعلم من هؤلاء هل جنود حراسة المنازل أم أنه يضع جهازا يبلغه بما يحدث حاولت أن أقف وراء الباب لأسمع جيدا وبخطوات لا تسمع على أطراف أصابعي مشيت نحو الباب وقفت خلف الباب وحتى طرق على باب الغرفة فجأة ودخل حاولت الجري ولكن تلك السجادة المؤذية تمكنت من لف قدمي فيها لأجدني مرمية على الأرض في موقف مخجل لو كان أحد يعرفني لضحك على هذا المنظر.

نظر إلي وقال: هذا الطعام ليس مسمما، ما وضعته هكذا ليبقى كما هو.

وانفعل بصوته المرعب وخرج من الغرفة ولم يعلق على ما حدث ولم ينتظر حتى أقف من على الأرض وسمعت صوت شيء ينكسر وقال: لا بد أن عدم عقابي لك جعل الأمر يزداد سوءًا ولا تنفذين أوامري. قلت الطعام ليس مسمما أيتها الغبية اخرجي إلى هنا وإلا قتلتك في الحال.

خرجت ببطء لأجده يخبط بيده على الحائط قائلا: ماذا فعلت بنفسي لأدخل هذا الكائن الغريب لبيتي؟ وأطاح بباقي الطعام على الأرض، فأيقنت أن صوت الكسر كان لأطباق الفطار التي قام بإعدادها البيض المقلي والجبن الأبيض والخبز بحبة البركة الذي لا أحبه والحلوى بالمكسرات ومربى التين التي غضبت منذ طفولتي وعزفت عن تناولها كل هذا كان على الأرض مختلطا بالماء وبقايا القطع المنكسرة من الأطباق.

توقعت أنه سيطلب مني أن أقوم بجمع تلك الأشياء وتنضيف المكان لكنه حمل جردلا صغيرا لونه أبيض ووضع فيه كل ما على الأرض وأخذ يتمتم بكلام غير مفهوم ووقفت أستند على جدران الحائط أنظر له ماذا ينوي فعله ولماذا لم يطلب مني حمل الأشياء؟

بمجرد أن انتهى طلب مني أن أحضر له دائرة صغيرة كانت بجانب كرسي المكتب وذهبت لإحضارها وسألت نفسي: ما هذا الجهاز الغريب؟

أخذه مني قائلًا: سلمت يدك من كل الشر المحاط بعالمك.

ما الشر المحاط بعالمي؟ إنه يستطيع أن يتحدث بكلام طيب إذن لمَ كل هذا العنف؟!!

وأخذ الجهاز وتحدث إليه وقال: لا تتأخر في تأدية مهمتك في التنظيف. وتركه على الأرض فبدأ الجهاز بتنظيف ما تبقى على الأرض وتجفيف المكان المبلل.

سألته: ما هذا الجهاز؟

نظر إلي ولم يفتح فمه وينطق بكلمة حتى. لم أعتد بعد على صوت حركة جفن عينه في كل مرة ترعبني كلما سمعتها وكأنها تصدر الصوت في قلبي.

ذهب لغرفته وأغلق الباب وجلست على الكرسي المجاور للغرفة وأخذت أتطلع لهذا الجهاز كيف أنه دقيق جدا لسحب البقايا وتجفيف الأرض من الماء دون أن يصدر أي صوت لكن ينبعث منه لون أزرق حين يعمل وفتح باب الغرفة وقال: اتبعيني لغرفة المكتب.

وجلس على الكرسي ونظر للكتب الملقاة على الأرض ونظر لي وقال: هذه عصبيتي المفرطة حين يشاركني أحد المنزل لهذا أريدك أن تغادري هذه المدينة بسرعة جدا فقد أحاول في ليلة ما قتلك أو ربما تسليمك للجنود لإعدامك في ميدان عام كجاسوسة من عالم آخر لتدمير عالمنا.

كنت أتطلع لعينه لثوانٍ معدودة تمعنت جيدا في العيون البنية التي تدل على الانتقام من أي غريب لكنها تنظر إلي بغرابة كالمستكشفة ثم سألني إن كان يخطر في بالي شيء أخبره به أو أي طلب يمكنه مساعدتي للعودة فقلت له: ما قد حدث لي غريب لن تستطيع تصديقه يا سيدي.

ابتسم قائلا: سيدي! بارعة في التصنت على النشرة التي يلقيها على الحاسوب الصغير (ما كو) حتى تناديني كالحاسوب.

تعجبت جدا أنه يبتسم كشخص عادي إذن لمَ كل هذه القسوة وما حكايته يا ترى؟

قال: هذه الغرفة تحتاج لترتيب فقد جمعت كل تلك الكتب كميراث متبق من عائلتي التي لم يبق منها سوى وجودي أنا وهذا المنزل ساعديني في ترتيبها مقابل دفتر وقلم لن أقتلك اليوم لكن فكري في طريقة للعودة لمنزلك.

أخيرا سيمنحني دفترا وقلما مقابل ترتيب الكتب، لم أخبره أني أحب الكتب جدا وأستمتع بترتيبها وأخذت بجمع الكتب من على الأرض فقال: توقفي الكتب لا تحمل هكذا حتى لا يصاب جسدك بوعكة صحية تلزمك الفراش لأيام طويلة، هذه كتب لا يحملها غريب سوى أبناء العائلة من دم واحد توضع عليها تعويذة كل غريب يلمسها يصاب لهذا قد حملتِ كتابين فقط ستشعرين

بالتعب والخمول وارتفاع في حرارة الجسم لأيام حاولي التغلب عليها بالحصول على المضاد إنه في المنزل فتشي عنه وإن لم تجديه فستموتين هنا.

أسقط الكتب من يدي ونظرت إليه هل يخيفني حتى وجدت يدي التي كانت باردة ليومين من شدة الخوف دافئة جدا لم أتوقع أنها بداية الأعراض فذهبت وجلست على الأريكة البنية التي صارت الملجأ من كل هروب وأخذت أفكر في كلامه حتى قال: موعد تناول الوجبة الثانية بعد الإفطار داخل المنزل لم أفهم ماذا يقصد؟

أغلب كلماته لا أفهمها إنها وجبة الغداء لماذا يصنفها بالتفصيل ويطلق عليها الوجبة الثانية؟

علامات من الاستفهام حول كل ما يصدر من هذا الرجل هو وحده علامة استفهام.

قال: أيتها الغبية الصغيرة أعددت الوجبة الثانية تعالي إلى هنا: كوب من الشوفان ودورق من اللبن وكوبان فارغان نظرت للطعام وظهرت على ملامحي علامات الغضب كما لو أن أمي قدمت لي طعاما لا أحبه كنت خائفة من أعترض فيثور ثانية لكنه فهم من تعابير الوجه أن هناك اعتراضا قادما مني فحمل دورق اللبن وسكب جزءا منه في الكوب حتى نصفه وقال اللبن مهم جدًّا ليتمكن من مقاومة الميكروب الذي دخل جسدك من الكتب.

في عقلي كنت أظن أنه يلاعبني لتخويفي فكيف تكون الكتب حاملة للعدوى كالأمراض أعلم أن الكتب دائما إن كانت جيدة أصابتنا بالحب للكاتب وكل ما يكتبه من كلمات وصار حديثنا عن الكاتب وإبداعه لا ينتهي حتى يحل عمله الثاني ونقارنه بالأول

دائمًا. لهذا الكاتب لا بد أن يصعد على درجات السلم وهبوطه لا يغفره القارئ أبدا، والكتب الرديئة لا نكمل القراءة فيها من أولى الصفحات يصيبنا الملل فنعزف عنها لم أصدق أبدا أن الكتب ستصيبني بالمرض، قلت له: لا أتناول اللبن كثيرا ولا أشعر بالجوع في الوقت الحالي فحمل كوب اللبن ووضعه أمامي ونظر لعيني وقال: آخر وجبة تقدم هنا هي تلك الوجبة الثانية بعدها لا يتم تناول أي شيء سوى الفاكهة.

لو كانت أمي هنا تراني هكذا يتم تأديبي لتناول الطعام لضحكت قائلة: نالت جزاء كل ما تفعله وتعترض على كل ما أقوم بطبخه.

تذكرت طبيب التخسيس الخاص بي حين كنت أعترض لأنه منع عني الحلويات والوجبات السريعة وكنت أتناول ربع فرخة مشوية أو سمكة كمجرمة معذبة في سجون الاحتلال لكن الشكر للطبيب فقد خسرت ما يقارب العشرين كيلو من الوزن ومع هذه الوجبات المقدمة من هذا الغريب سأفقد أصلا نفسي وربما أصبح بحجم الربع فرخة التي اعترضت عليها سابقا.

تركني ودخل لغرفة المكتب تناولت اللبن ووضعت به معلقتين من الشوفان ولكن ما زلت أشعر بالجوع ولم أتحرك من الكرسي حتى أتى للخارج وقال: سأترك لك فراشي الليلة لأن الحمي ستتمكن منك هنا الليل ساعة واحدة وبقيت ساعتان على موعد النوم ولدي عمل في المكتب سأقوم به وأثق أن الليلة لن تفتعلي أي إزعاج من شدة الوجع ستتكومين داخل مفرش صغير تركته لك على حافة السرير كم من الوقت تنامين في هذه الساعة؟

لم أفهم شيئًا عن التوقيت الغريب، في مدينتي أنام ست ساعات وإن تمكن مني الاكتئاب أنام ما يقارب عشر ساعات كيف

سأخبره بكل هذا نظرت له وكأنه يقرأ لغة العيون ابتسم وقال: ما اسمك وكم عمرك؟

سلمى.. خمسة وعشرون عاما تخرجت من كلية الآداب قسم الفلسفة في مدينتي.

مرحبًا سلمى تحدثي بكل ما يخطر على بالك إن التواصل بالعيون لا أحبه وتعابير وجهك لا أفهمها كثيرا ويكفي أن أحاول التأقلم معك قبل أن أقتلك. درستِ الفلسفة لعلك مجنونة إذن؟

أول مرة يتحدث بهدوء ودون نظرة حادة وكأنه أبي أو أخي هل يشفق على حالي ولن يقتلني كما يقول؟ هل يعرف أن انتقالي إلى هنا كان بسبب الحصيات الثلاث؟!

قد تغير من شخص عنيف جدا وعصبي لشخص متفاهم يتطلع لعيني كثيرا هذا الرجل الثلاثيني الملامح وعشريني العينين عينه القاتلة رغم خوفي منها صوت يهمس داخلي إنها جميلة تحمل شخصا حنونا يخبئ الكثير لكن كل ما يهمني ما الحيلة التي سأعود بها لمنزلي قبل أن يقتلني أو يعرف حراس المدينة بوجودى وإعدامي في ميدان عام كما قال.

لا أعرف ما اسمه كنت أناديه سيدي وكان يبتسم ثم سرعان ما تختفي ابتسامته وينظر لعيني ثم يتحدث ماذا تريدين؟

لا أفهم الساعة هنا على الحائط هناك سبعة أرقام فقط وساعة يدي اثنا عشر رقما. في مدينتي أنام ست ساعات بتوقيت هذه الساعة. نظر للساعة في يدى ومد يده لي أعطني الساعة لأراها لا تخافي سأعيدها.

ناولته إياها نظر لها وقال: تشبه الساعة في كتاب قد قرأته من حوالي عامين كنت مندهشا كيف تقضون كل هذه الساعات!

ينتهي حديثنا هنا لدي عمل في المكتب. وترك الساعة على المنضدة وذهب لغرفة المكتب ارتديت الساعة فهي الأمل الوحيد لمعرفة الوقت وذهبت لغرفته، فتحت الباب صدر صوت كرسالة مسجلة على هاتف محمول لا بد أنه جهاز مثبت على باب الغرفة فسجل إشارة بلغة لا أفهمها ونطق مرحبًا أنا (ماكو) الحاسوب: زائر غريب لأول مرة يا سيدي حسنا تم إدراجه كأحد أفراد المنزل.

لا أعلم من أين يأتي صوت هذا الماكو لكنه ذكي للغاية يشعر بي رغم أني لا أشعر به ولا أعرف تحديد موقعه وكيف يبدو شكله. فتشت على باب الغرفة وفي السقف لم أجده ربما حجمه صغير جدًّا متخفٍّ في مكان سري. في النظرة الأولى للغرفة أخذ تفكيري لم أخمن كثيرًا عن ماكو هذا واسمه الغريب وكيف شعر بي؟

تفاصيل الغرفة التي يعيش فيها الرجل غريب الأطوار هذا تشبه كل البيت غريب الأطوار مثله

واسعة جدا سرير أسود اللون دولاب ضخم جدا لا يوجد له أبواب تظهر الملابس مرتبة وكثيرة وقفت أتطلع كم من الوقت سيقضي في هذه الدنيا ليمتلك كل هذه الملابس لو كان أخي هنا لجمع هذه الملابس ووزعها على أصحابه كعادته ولكنت حاولت التلصص على ملابس أخي وأخذت نصفها لأرتديها. ساحرة هذه الملابس كم من المال يمتلك هذا الرجل ليشتري كل هذه الملابس والمزيد من الأحذية وحقائب العمل.

شعرت فجأة بالدوار فسندت على مكتب صغير بجانب الدولاب ولم أتمكن من الاتزان لوقت طويل شعرت أن رأسي كله أثقل من جسدي ولم يقاوم جسدي برغم قوته التحكم في رأسي فسقطتُ على الأرض وازداد الألم ولم أستطع مناداته فقد فقدت

صوتي.

مهما وصفت هذه اللحظات...! لقد تمنيت الموت حقًّا لأن الوجع كان يزداد بلا صوت أسمع دقات ساعة يدي يفجر رأسي ببطء خلعت الساعة ووضعتها على الوسادة السوداء ذات الملمس الناعم.

هذه الغرفة كل ما بها أسود اللون عدا ممتلكاته وملابسه داخل الدولاب الضخم ولون الحائط أسود أيضا لكن مصابيح الغرفة تجعلنا نشعر أن الشمس تشرق على كهف مظلم جدا لأول مرة. لا أعلم كم مكثت مرمية على الأرض دون جدوى أو اهتمام منه هل كان يعرف بسقوطي هل شعر به هل أخبره الحاسوب ماكو بما حدث؟!

لم أسمع أي صوت حاولت امتلاك القليل من الطاقة والقوة لأقف وأسترد جزءا من حركتي. بعد معاناة حاولت الذهاب للسرير وسحب المفرش الصغير لأتكوم داخله ربما حقًّا هذه أعراض ملامسة كتب عائلته!

هل هذه طريقته للتخلص مني؟.. شخص كهذا الرجل المرعب لا يطلب مساعدة من غريبة مثلي لماذا عرض علي ترتيب الكتب؟ تكومت على السرير تحت الغطاء حتى حل الليل لم أفعل شيئًا سوى التنفس ومحاولة التغلب على الألم الذي كان يهدأ كلما توقفت عن التفكير لكن تابعت كيف يمر الوقت داخل ساعتي حتى يحل الليل بتوقيت التاسعة في ساعة يدي كنت تركتها على الوسادة أخذتها لمراقبة الليل هنا وبعد تدقيق عرفت أن هنا تبدأ ساعة نومهم لمدة ساعتين ونصف بتوقيت مدينتي ثم يحل الصباح مجددا.

إذن بتوقيتنا تنام هذه المدينة ساعتين ونصفا فقط وماذا عن باقي النهار هل كل ساعة لديهم بساعتين ونصف من توقيت مدينتي؟

هل الأرقام السبعة كل رقم فيها بساعتين ونصف؟

حتى نمت من كثرة الأسئلة.

استيقظت على ألم في معدتي يجعلني أتلوى بشدة نهضت من الفراش مسرعة للبحث عن أدوية وذهبت لغرفة المكتب لم أجده ليساعدني. تذكرت أنه ذهب للعمل أو ربما في حديقته يعتني بالزرع لا أعلم كم من الوقت غفوت غارقة في النوم. نظرت من وراء الستار فلم أجده ووجدت أشخاصا ملثمين ويرتدون اللون الأزرق نفس طوله الغريب لكنهم مختلفون عنه فحركة مشيهم سريعة وعيونهم تراقب كل بيت بسرعة تتطلع على كل تفاصيل البيوت ويحملون أسحلة تصدر اللون الأحمر ويحيطون بهذا المنزل وكأن له عناية خاصة وحراسة مشددة أعتقد أنه يعمل في مؤسسة هامة ربما مدير شركة أو رئيس أو يعمل شرطيا لكن لا تدل ملابس عمله على ذلك.

كان ألم المعدة يزداد ونبضات قلبي ترتفع كنت أسمعها وتؤلمني دقاتها وضعت يدي على صدري وددت لو خرج قلبي لأضمه بشدة فقد أرهقني تحمل الوجع، حراس المدينة لا تظهر لهم أي ملامح سوى العين التي تفتش عن شيء لا أعرفه ماذا لو صرخت من وجع معدتي أو أصدرت صوتا سيصعدون للأعلى ويقتلونني. مؤكد أنني سأموت اليوم من الوجع أو من هؤلاء الحراس.

ما كان لدي حل سوى العودة والموت على الفراش لو عدت للبحث في الغرفة أو الصالة أو الغرف المغلقة التي لا أعرف عنها شيئًا بعد سيسمع الحراس الصوت لا حل سوى تحمل الألم حتى الموت على هذا الفراش والغرفة الغريبة الأطوار. خرجت من غرفة المكتب متجهة لغرفة النوم وفي الصالة وجدت على المنضدة طعام الفطار اليوم مختلف كوب عصير من البرتقال وفاكهة مقطعة في طبق لا أعرف ما أنواعها كانت ألوانا كثيرة ربما من شدة الألم ظننت أنها مكسرات وورقة بجانب الطعام هل كتب فيها وسيلة لقتلي أو سيخبرني أن أموت بصمت حتى يعود ويتخلص من جثتي؟

أخذت الورقة: (سلمى) تناولي كل ما هو أمامك مهما كان وجعك سيساعدك ذلك في التحسن لا تخافي لن تموتي اليوم مجرد ميكروب كتب صغير حتى تعتاد الكتب عليك لتستطيعي ترتيبها.

ماذا يقصد بميكروب الكتب؟ وكيف تعتاد كتب جماد على شخص؟ نحن من نعتاد الكتب ونصاحبها لا تصاحبنا الكتب غصبًا ولا تؤذينا الكتب تدخلنا في حالة يعيشها الكاتب لكن لا تصل أبدا للمرض الجسدي أتذكر أنني قرأت رواية وتعلقت بها وعشت داخلها لشهور حتى وجدت رواية أخرى لأتخلص من هذا الشعور لكن أصابت تفكيري وليس جسدي لفترة من الزمن.

هذا الرجل الأبله المعتوه من يظن نفسه وكتبه وأي ميكروب هذا؟! يتفوه بحماقات تزعجني أساسًا لا أتحمل أي شيء يكفيني ما أعانيه.

عاد الألم بقوة تناولت عصير البرتقال وطبق الفاكهة كان أغلب طعمها لم أتذوقه من قبل حتى شعرت بأن معدتي لم تتقبل كل ما تناولته مر الكثير هنا لم أدخل الحمام لا أعلم هل انتقال جسدي هنا يمنع الذهاب للحمام لكن كنت حقًّا أريد إفراغ كل ما دخل معدتي ولا أعرف الطريق للحمام هذا المنزل كبير جدا وغرفه كثيرة ما كان لدي حيلة سوى سؤال ماكو الحاسوب الذكي الذي يملكه الرجل المعتوه وقفت على الكرسي لأتحكم في نفسي وناديت بصوت هادئ خوفا من أن يسمعنى حراس المدينة: ماكو هل أنت هنا؟ أريد الذهاب للحمام.

لم أتلق أي رد فعل ما كنت أستطيع التحكم أكثر من ذلك مصدر الشعور بالتخمة والامتلاء يزداد ربما توقفت معدتي تماما حتى تم إفراغ المعدة من كل الطعام على الأرض تقيأت حتى خرجت عصارة المعدة الصفراء مع حشرة صغيرة تتحرك أفزعتني ولولا الوجع لصرخت بصوت عال رغم وجود الحراس لكن حالة من الضعف والهبوط وعدم انتظام التنفس تمكنت مني كنت ألتقط أنفاسي بصعوبة ما هذا الذي يحدث ومن أين دخلت تلك الحشرة معدتي؟

تحركت الحشرة باتجاه غرفة المكتب من خوفي أن أكون أمتلك في معدتي الكثير منها حاولت التقيؤ كثيرا حتى سمعت صوت ماكو اللعين يقول: الحمام الغرفة السابعة على اليسار. تبقى دقائق على وصول سيدي تحتاجين للاستعانة بجهاز التنظيف قبل أن يأتي ويقرر قتلك.

ناديته: أيها الغبي كله بسببك لقد ناديتك فلم تجب.

عاد صوت ماكو مجددا: الغبي هو من يعود مع سيدي لهذا المنزل متخفيا في كيس أسود ويفتعل كل ما يزعج السيد.

لم أفهم ماذا يقصد؟ هل دخلت لهذا المنزل في كيس أسود؟ هل تقصدني؟

عربة عمل سيدي قد وصلت أسرعي بنداء جهاز التنظيف.

كنت خائفة فالحشرة في غرفة المكتب وجهاز التنظيف هناك طلبت من ماكو مساعدتي لكنه لم يرد مرة أخرى، حاسوب غبي عكس ما توقعت يجيب كما يشاء حتى الحاسوب سيتمكن من السيطرة علينا يوما ما ونحن من صنعناه.

فتح الباب ودخل فوجدني على الأرض فلم يهتم. دخل غرفة المكتب ووجدت الجهاز قد أتى للتنظيف فذهبت للحمام الغرفة السابعة كما قال ماكو الغبي. هذا البيت تفاصيله غريبة سبع غرف على اليمين وتسع غرف على اليسار مغلق جميعها وكل غرفة مكتوب عليها رقم دخلت الحمام وما أن انتهيت غسلت وجهي جيدا حتى الماء ينزل في بدء الأمر مع صابون معطر ثم ينقطع الماء من الصنبور لا أعلم من أين أحصل على ماء صاف لغسل وجهي وهل يتركون الصابون هكذا على وجوههم؟!

طرق الباب ففزعت ولم أرد عليه قال: الماء الخالي من الصابون في الغرفة المجاورة لهذه الغرفة.

ذهبت وفتحت الباب والصابون على وجهي كنت محرجة جدا بعد التقيؤ على الأرض وخائفة من تعنيف أو عصبية أخرى وجدته واقفا أشار لي بيده على الغرفة ودخلت لحمام آخر لغسل وجهي. ما فائدة وضع صنبور ماء بصابون داخل حمام؟ وحمام آخر للماء دون الصابون أين عقولهم لو وضعوهما متجاورين لكان

أفضل.

حين خرجت ناولني قطعة من القماش الناعم جدا وقال: امسحي وجهك جيدا واتبعيني للمكتب.

ذهبت خلفه ببطء كالعادة فجلس على الكرسي وطلب مني أن أجلس على الكرسي الآخر أمامه ونظر لعيني وصمت لدقائق ثم قال: منذ كم من الوقت لم تنظري لوجهك في المرآة أعراض المرض ستختفي تدريجيا لكنها الحمى تتحكم فيكِ أمر طبيعي هل خرجت الحشرة من فمك أم لا؟

قلت له الحشرة هنا في المكتب هل دخل السم جسدي هل سأموت؟ كنت أرتجف وأبكي.

ابتسم ولم يقل كلمة واحدة حتى فتح درج المكتب وأخرج منه علبة صغيرة مرسوما عليها صورة الحشرة ووضعها على المكتب ثم ذهب وأحضر الماء: صحيح يا سلمى، جسدك قوي للغاية. لا تخرج الحشرة سريعًا من جسد أحد وأحيانا تحب الجسد فتأكل كل ما بداخله حتى ينزف للموت لكنها لم تحب أعضاء جسدك الداخلية أنا أيضا لم أحبك كالحشرة أنتِ جبانة جدا وتتطفلين على الأشياء بعقلك لم أصادف في الكتب من يشبهك أبدا.

كنت أرتعش من شدة البرد: سيدي الجو بارد جدا هل يمكنني استخدام معطف لك أو شيء يساعدني على التغلب على البرد؟

كان الوضع يزداد سوءًا حتى كنت أعض على أسناني من شدة البرد وهو لم يتفوه بكلمة، خرج من الغرفة وعاد يحمل جهازا صغيرا ضغط على زر فيه حتى ظننت أن الشمس جاءت الغرفة من أجلي.

ناولني كوبا من الماء وحبة صغيرة خضراء اللون فنظرت له بخوف قال: ليست مسممة إنها مقاومة للحمى طالما خرجت الحشرة ستعالج ما أتلفته الحشرة في الداخل. الأمر بسيط. تناولت الحبة والماء ووضعت الكوب على المكتب قال: الزمي الفراش حتى الغد لتتمكن الحبة من الصدام مع الحمى لتهزمها. سأمكث اليوم بجانبك حتى تتعافي ليلة صعبة على جسدك الضعيف لكنها ستمر. كيف سيمكث اليوم بجانبي؟ هل سننام معا؟ وماذا يريد هذا المعتوه مني؟

دخلت الغرفة وتكومت في السرير وحمل جهاز التدفئة لغرفة النوم وأعاد تشغيله وسحب الكرسي بجانب السرير وجلس وقال سأراقبك الليلة أنا هنا لا تقلقي.

كان النوم يحاربني حاولت ألا أستسلم للنوم لكن الحبة ربما كانت تستدعي النوم غفوت لأستيقظ فزعة ماذا حدث؟ وجدته ما زال على الكرسي ينظر لي لم يتحرك من مكانه حتى ظل ينظر قلت له: هل غفوت كثيرا؟

قال: تناولي هذه الحبة البيضاء أيضا وحمل كوب الماء نحوي سألته: هل سأنام ثانية؟

هذا البيت كل ما فيه لا يجيب على أسئلتي صاحب البيت وحتى أجهزته الغريبة وتلك الحشرة اللعينة يا ترى أين ذهبت؟

تناولت الحبة وجلست على الفراش حتى لا يأتي النوم خوفًا مما يفكر فيه هذا الرجل ولا أعرفه فتح درج المكتب الصغير بغرفة النوم وأخرج كتابا وقلما أسود وتركه بجانبي وابتسم قائلًا:

هذا الدفتر قد عثرت عليه في مكتبة رجل عجوز وهنا في المدينة لا ندون في دفاتر لكن هذا الرجل أتى من مدينتك لهذا

يصنع الدفاتر ويخفيها لا أعرف ما سره ليخفيها لكنه صديق قديم لعائلتي أعطاني إياه سرا وكان مندهشًا من سؤالي عن دفتر لا تخافي لم أبلغه بوجودك هنا لا أريد قلقا في المدينة ينتهي بقتلك، هذا الرجل عاش هنا حياة مريرة ونجا من الموت بأعجوبة ولا تسأليني عن قصته.

طرقت أمي باب الغرفة ودخلت تطمئن على أحوالي فأغلقت الدفتر بسرعة وأخفيته تحت الوسادة.

أمي أنا بخير فقط أريد البقاء وحدي لفترة فجلست بجانبي وقالت: هل ستستمرين على هذه الحالة كثيرًا منعزلة عن الجميع حزينة من أجل حالتك. سيعرض والدك حالتك على طبيب صديقه ويرغب الطبيب في تحديد موعد لنزوره في عيادته ما رأيك؟

طبيب نفسي آخر لن يحدث قد مللت تناول الأدوية والمهدئات ولا أنام حتى يزداد الأمر سوءًا وأفتش عنه كالمجنونة، أمي أتشعرين بقلبي؟ هو حقيقي لم يكن شخصا خياليا والأطباء هنا تشخيصهم خاطئ أريد الذهاب للمقابر وحدي أثق أنه يبحث عني رجاءً أمي ساعديني.

أخذتني في حضنها وبكتْ بشدة أنا معك أصدقك.

ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها ليعود ألم قلبي يزداد وصداع رأسي يعود بقوة لا أحد يفهمني دونك يا ليتني ما تمنيت العودة ولا فتشت يومًا عن طريق لمنزلي، بالله عليك أريد رؤيتك.

عدت لفتح الدفتر ودخلت تحت البطانية، فصل الشتاء في منزلي أكثر برودة من المنازل المجاورة.

فتحت على الصفحة التي كان يحكي فيها أن العجوز عاش حياة مريرة في عالمه، كيف هو من عالمي ولم يرحل بعد وصديق قديم لعائلته وما زال هنا؟! إذن لن أتمكن من العودة لو كانت العودة سهلة لعاد هذا الرجل منذ زمن.

كنت سعيدة بالدفتر والقلم جدًّا لكن أمر صانع الدفتر أرعب تفكيري كثيرًا وعاد من جديد ينظر لي لتلاشي النظر له قلت:

-شكرًا لك، هذا الدفتر سيساعدني كثيرًا على الاحتفاظ بما تبقى من ذاكرتي ربما لا خلاص لي من مدينتك وعلي تقبل ذلك.

-سنجد الحل معًا لعودتك لا تقلقي لن أتحمل وجودك هنا أكثر من ذلك.

-هل لي بسؤال سيدي؟

-فقط سؤال واحد اليوم.

وأخيرًا قد سمح بسؤال هذا الغريب الأطوار، كيف سيساعدني على العودة لو كان يعرف لساعد صانع الدفتر للعودة هل سيقتلني إن لم يجد طريقا لعودتي؟

-سيدي كيف عثرت على؟

-لا تتذكرين ما الذي حدث أم تحاولين سحب مني الكلام ليدور بيننا حديث يوثق العلاقة وأتقبل وجودك؟ مهما كان الأمر فلن أتقبلك.

-سيدي أريد كتابة يومياتي منذ غادرت منزلي حتى وصلت إلى هنا وفقدت كل شيء عن حياتي السابقة. على الأقل أريد تدوين هذه الحياة، لكن الحلقة المفقودة مني هي: كيف وجدتني؟

-حسنًا سأحاول توضيح بعض الأمور يا سلمى.

-كنت أعتني بالحديقة كعادتي كل صباح وعندما حاولت زرع

بذور جديدة وجدتها على مدار سنوات لا تنمو.

استمر هذا الحال فقلت: سأخرج البذور من التربة لرميها فلم أجدها حتى الصباح الذي وجدتك فيه مدفونة في أرض الحديقة مكان تلك البذور.

-مدفونة؟!

وقعت الكلمة على مسمعي كصاعقة.

أخاف البرق والرعد في الشتاء جدًّا وأخاف المرض من كثرة زيارته لجسدي لكن كلمة مدفونة أصابت قلبي بطعنة خفية لن يشعر بها إلا من كان في حالتي وجدته يتأمل ملامح ذهول الكلمة على وجهي وكأنه لا يفهم رد فعلي وصوت جفونه يزداد.

قاطعته لكي يبدو الأمر عاديا حتى يجيبني على السؤال الآخر.

-ما كان نوع البذور يا سيدي؟

-قلنا إنه لا يسمح لك بأكثر من سؤال. غدًا ربما أجيبك لو كان هناك وقت، عودي للنوم لتأخذ الحبة مفعولها الصحيح.

أخذت الدفتر والقلم وتكومت تحت الفراش وحاولت تمثيل النوم لكن ظلت جملة: وجدتك مدفونة تتردد داخل عقلي حتى لاحظ أني قلقة فأخرج من دولابه معطفا وضعه فوق كتفي غطى نصف رأسي وقال: أنا هنا اطمئني قليلًا يا صغيرة. وكأن معطفه كالسحر غلب على النوم.

مرة ثانية قمت بفزع وجدته يضع شيئًا على مقدمة رأسي فصرخت: ماذا تفعل؟

لم يرد علي، وضع ذلك الشيء الذي يشبه مسطرة أختي الهندسية على الوسادة وخرج من الغرفة. حاولت معرفة ما هذا، لونه أبيض مدون عليه أرقام ومتوقف عند الرقم تسعة والتنفس

بدأ يقل تدريجيا. حاولت تهدئة نفسي كان الخوف والألم يزداد، جسمي ساخن جدًّا.

دخل الغرفة معه مكعبات من الثلج في طبق وقال: اصعدي الفراش وإلا ستموتين هكذا الحمى تزداد.

صعدت على الفراش ونظرت إليه: أنا خائفة جدًّا وأريد أمي يا سيدي أرجوك أريد العودة لبيتي.

سأفتش عن حل لك في الصباح تعافي أولًا حتى تستطيعي العودة.

أريد جمع الحصيات الثلاثة لأتمكن من العودة ساعدني أرجوك سيدي.

ورحت في النوم ثم استيقظت فوجدته جانبي.

-هل ما زلت هنا لم تذهب لعملك؟

-لقد عدت منذ ما يقارب ساعتين وأعددت شربة الشوفان الساخنة تناوليها إن درجة الحرارة أفضل الآن جسدك يتعافى تبقى لك حبة خضراء واحدة فقط إن المؤشر قال بأن حرارتك على الرقم خمسة مؤكد تعافِي جسدك من الحمى يا صغيرة كانت ليلة صعبة علي بسببك.

لا أعرف كيف كنت أتبع تعليماته دون أن أجادله وأنا العنيدة في عائلتي التي تجادل من أجل الجدال والعناد فقط. تمكن المرض من قبل مني كثيرًا لكن لم يضعفني شيء وأخافه مرتعبة من كلمة وجدتك مدفونة وخروج تلك الحشرة ماذا فعلت بجسدي؟ وكيف عاشت فيه؟ وكم من الوقت استمرت بالداخل؟

تناولت الطعام وخرجت لغسل وجهي وجدته يشاهد التلفزيون أو ربما الشاشة الضخمة لا أعرف ماذا يطلق عليها هنا

تلك العيون البنية داخلها الكثير تشبه الفيضان تذكرت مدينتي وكل ما حدث وركوضي في المقابر وكأن الحياة كانت تهرب مني والموت يركض نحوي لينتهي بي الحال هنا في مدينة لا أعرفها ولا تعرفني هاربة وضائعة ومشتتة اللعنة على قلة حيلتي وعلى الصدفة التي أوقعت بي لبئر هذا الرجل وأرضه وفي وحشة الضياع وقسوته.

كانت تقول جدتي إن كل لقاء هو تمهيد لغربة طويلة. لم أصدقها. ذهبتُ لنلتقي أنا وهي عبر حديثي لها وشعوري أنها تسمعنى، لأسافر عبر الزمن لزمن غريب ومدينة غريبة عبر ثلاث من الحصى واليوم أطوي صفحات ذكرياتي وأخفي خيانة الحصيات الثلاث وتغوص قدمي في أرض لا أعرف فيها سواك هل الضحية أنا أم الحصيات الثلاث؟

أيها الرجل المراوغ هل وجدتني حقًّا مدفونة في أرضك؟! هل العقاب كان الدفن؟

العقل يشمت في قلبي الخائف الآن تمكنت كتبك مني بشراهة دومًا كنت محبة للكتب واليوم أكرهها بسببك وبسبب ما حل بي من ألم.

-هل ستحدقين بي كثيرًا؟ الغبية الصغيرة شردت بذهنها لبعيد، أنتِ، سلمى، هل تسمعين ما أقول؟

التزمت الصمت لم أتفوه بحرف عدت للغرفة وفتحت الدفتر وأمسكت القلم لأكتب وجدت في الصفحة الأولى مطبوعا جملة وكأنها طبعت لي كرسالة من القدر أو رسالة وجع من صانع الدفتر: (إلى كل من يبحث عن وطنه، الوطن هو قلبك يا بني إياك وخسارة قلبك).

ترددت ماذا سأكتب عن وطني أو عن عائلتي أو نفسي أو عما حل بي وماذا حدث وآخر ما أتذكره قبل وجودي هنا. قلت: سأكتب ما يخطر على بالي وليكن الدفتر مرشدي حين أفقد كل الأحداث إن كتب لي العيش في هذا العالم أو إن بحث أحد عني بعد موتي.

الصفحة الثانية بعد نصيحة صانع الدفتر قمت بكتابة كل ما قرأته اليوم يكفي هنا أحتاج النوم. وضعت الدفتر تحت الوسادة وغفوت في السابعة مساءً حتى دخل أبي الغرفة يعرف بنومي من أثر تناولي المهدئات وجدته يقترب يقبل رأسي ويقول: أقلق عليك يا حبيبة والدك أسأل نفسي ماذا فعلتُ ليكون الثمن ما تعانينه أنتِ؟

أمسكت دموعي حتى لا يشعر بأني أسمعه فيتهرب مني غاضبا من نفسه على إزعاجي وتقليب الألم علي أضاف بطانية أخرى على جسدي وخرج وأغلق الباب بهدوء فانفجرت في البكاء.

عليك أن تعود، الجميع حزين لأجلي، لا أستطيع المقاومة من دونك يا حبيب أيامي التي أدفع عمري كله مقابل أن نعود ولو للحظة. النار في قلبي لا تهدأ الحرائق في الغابات لا حل لها كحرائق قلبي الليلة وكل ليلة.

قبل شروق الشمس بدقائق كنت أستيقظ حسب ما تعودت على توقيت عالمك. أخرجت الدفتر وعاودت القراءة من حيث توقفت.

دخل الغرفة ونظر لي:

-تعلمتِ عدم الإجابة، هل تقلدين ما أقوم به؟ كنت أتحدث إليك يا صغيرة لمَ هربت للغرفة؟

أووه!! تكتبين؟!! شيء جيد شاركيني كتاباتك هل يُسمح لي بقراءة ما كتبتِ؟

كنت غاضبة منه أجبت بعنف: لا، لا يُسمح لك إنها كتاباتي وما تبقى من ذاكرتي كيف سأمنح شخصًا غريبًا إذن القراءة.

وفي عقلي كنت أريد إخباره أني أكتب عنه حتى لو عدت لمدينتي أحكي لصديقتي وأمي وأهل الحي وأصبح مشهورة بمعرفة رجل غريب الأطوار من عالم آخر وربما سأكتب قصتي معه وأنشرها في مجلة أو كتاب إن سمحت عائلتي لي بخوض هذه التجربة.

قاطع شرود عقلي وقال: ستسمحين لي كما سمحت لغريبة مثلك دخول بيتي.

-لا لن أسمح لك بقراءة ما كتبت إلا إذا ساعدتني على العودة لبيتي.

-أنا لست بحاجة لقراءة ما تكتبين يطلع ماكو على كل شيء يمكنه إخباري لكن لا أهتم بالأمر كثيرًا وحتى ماكو لا يهتم

أجاب ماكو الخفي الغبي: نهتم بعنيدة ومزعجة لماذا؟

ابتسم وقال: أحسنت ماكو إنك صديق جيد تظن أن البيت هنا كله مهتم لأمرها.

تضايقت من لهجته المستفزة هو وحاسوبه الغبي ماكو لو عرفت مكانه حتمًا سأغلقه ليتوقف عن العمل والاطلاع على كل شيء.

-سيدي أنا أكرهك أنت وماكو ولا أحب العيش في بيتك وأشتاق لأمي هل تعرف معنى الاشتياق للأم؟ لا بد أنك لا تشعر بأي مشاعر تبدو طيبًا وقاسيًا في نفس الوقت أنا منزعجة من البقاء

هنا وخائفة منك.

لم يجب على كلامي غادر الغرفة بسرعة وأغلق الباب حتى حل الليل لم أسمع حركة واحدة له حتى ولا صوتا لماكو لم أقصد إزعاجه فقط كنت أريد استفزازه ليساعدني على العودة هل غضب حقًّا مني لو غضب لثار علي، لن أصدق لو جرحته كلماتي، إنه قوي لا يتأثر بشيء.

كنت جائعة وكرامتي منعتني من قول ذلك لا أعرف أين المطبخ وهل يمتلك ثلاجة أم لا؟

-ماكو أنا لا أحبك ولكن جائعة كيف أتجه لمكان المطبخ أنت تسمعني أجبني من فضلك.

-أنا ماكو حاسوب ينفذ الأوامر ويراقب الأشخاص ويسعى للمساعدة لكنه بلا مشاعر لا يستطيع ترجمة الحب والكره والألم لكنه يفهم أن الحب هو أن تبتسم مثل سيدي والكره هو أن يغضب ويعلو صوته ويرمي بالأشياء على الأرض.

-أنا جائعة جدًّا الآن ليس وقت لتشرح لي فهمك للمشاعر.

-سيدي قد أعد لك الطعام على المنضدة خارج الغرفة وذهب لغرفة المكتب ليستكمل عمله، ما زالت الكتب في المكتب مرمية على الأرض تنتظرك.

-أي كتب؟! بعد كل ما حدث لي هل سيجعلني أعيد ترتيبها ماذا يريد مني؟ تعذيبي فقط؟ ولماذا قام بإعداد الطعام ما طبيعة هذا الرجل؟

لا بد لي أن أحاول فتح حديث معه لأفهم هل جرحته كلماتي؟ أنا حقًّا قلت الصدق لا بد أني بالغت جدًّا، خرجت لتناول الطعام وجدت الفاكهة والماء فقط فغضبت وعدت للفراش وحاولت

النوم.

ماكو: سلمى الصغيرة يبلغك سيدي بالذهاب لمكتبه لا تحاولي النوم لن تنامي السيد منزعج منك. لأول مرة لا يصدر رد فعل منه.

قبل الذهاب له هناك مرآة مغطاة في زاوية الغرفة اذهبي واطلعي على وجهك.

لم أنظر لوجهي أبدًا في هذا البيت هل تغيرت ملامحي، ماكو كعادته يلاعبني كصاحب المنزل قفزت من على الفراش لزاوية الغرفة وسحبت الغطاء من عليها ونظرت للمرآة وكانت الصدمة وجهي أزرق اللون وعيني ذابلة، ما كنت أتحمل وجود بثور صغيرة على وجهي كيف سأتقبل هذا الشكل؟ وهل ينظر لي الرجل وماكو وأنا على هذه الحالة؟

بكل عنف وغضب ذهبت لغرفة المكتب ولا أعرف كيف تجرأت على قول ما تفوهت به، كنت أستغل فرصة لأوضح له أني لم أقصد شيئًا لأغضبه بكلامي من قبل.

فتحت باب الغرفة بقوة دون سابق إنذار ولا أعرف كيف تحدثت بكل ما قلته في هذه اللحظة:

-ماذا فعلت بوجهي؟ عليك الإجابة. هذا من الحشرة أو من الدواء؟ أريد العودة لبيتي وعائلتي من تظن نفسك لتبقيني كأسيرة هنا في بيتك لا طعام سوى الفاكهة وأشياء لا أحبها؟ وحتى استخدام الحمام مزعج والنوم هنا لا يناسبني ومرت أيام طويلة على هذا الحال أنام وأرتعش خوفًا كلما سمعت صوت الحراس في الخارج والألم يتمكن من جسدي وأشعر بضعف لم أعهده من قبل الدموع كانت تسابق كلماتي وكنت أرتجف في كل كلمة وكنت

أترقب رد فعله وحين توقفت عن الكلام وجدتني مُسَمَّرة في مكاني وكأن الأرض مغناطيس جذبتني إليها وقدمي لا تقوى على التحرك وظل ينظر لي ثم نادي على ماكو قائلًا: سلمى المتمردة الصغيرة لا يعجبها الطعام هنا قم باستبانة سريعة عن الطعام في عالمها وشكل المرحاض وحالتها الصحية قبل أن تأتي هنا فلدي عمل هام هذه الفترة ولا أستطيع الاعتناء بها إنها في أمانتك ماكو.

حسنًا سيدي لكنها غبية.

لم نتأكد بعد أنها غبية ماكو لكنها ضعيفة جسديا لم تتعافي كليا بعد، عليك الاعتناء بها حتى ينتهي عملي سأغيب عن البيت لفترة وأنت تعرف ماذا تفعل.

ما هذا الهراء الذي تقوله سيدي لا أعرف ماكو هذا حتى وكيف سأمكث هنا وحدي لو تركتني هنا وذهبت لفترة طويلة سأحاول الهرب لا تلمني.

كلمة سيدي تغفر لك كل ما حدث اليوم من انفعال علي، لم يجرأ أحد منذ ألف عام أن يصدر صوتا أعلى من نبرة صوتي، لن تغفر كلمة سيدي لك طويلًا تجاوزك وحين أعود سيتم محاسبتك.

أخذ مجموعة من الكتب وحقيبة سفر وغادر المنزل وذهبت لأراه من الشباك كالعادة من وراء الستار. ركب سيارة بيضاء اللون وحمل السائق حقيبته ووضعها في صندوق السيارة وركب السائق وانطلقت السيارة بسرعة.

وجدت صوت ماكو اللعين: عودي لغرفتك وأكملي يومياتك السيد لن يعود اليوم.

عدت للغرفة وحملت الدفتر والقلم وفكرت ماذا سأكتب لم يجد رأسي أي شيء رغم أنه رحل من دقائق لكن كنت خائفة أكثر

من أي وقت لقد اعتاد قلبي الاطمئنان بوجوده رغم كل الهراء الذي تفوهت به لكن حين رحل شعور غريب أصاب قلبي المنهك من اللحظات الأولى اشتقت له لكن لم أصدق إحساسي هذه المرة ظننته فقط شعورا عاديا لأنه سيغيب وقد تعودت على أن يشاكسني أحد كأبي وإخوتي وماذا لو كشف حراس المدينة أمري؟

قررت الحديث مع ماكو فهو أفضل الحلول لأتخلص من ضوضاء عقلي.

-ماكو هل نحن على كوكب الأرض؟

-كوكب الأرض؟ ما هذا؟ الكوكب الأخضر تقصدين؟

-ماكو لا أعرف غير كوكب الأرض هل تفهم شيئا؟

-أحاول البحث الآن اصمتي يا مزعجة.

دقائق وقال: كوكب الأرض حيث أتى العجوز صانع الدفتر وصاحب المكتبات هنا وحيث الموت في أعمار صغيرة والطعام هناك لحوم وطيور والكثير من النشويات والمال هو سر حياتهم بجانب الهواء والماء والحقد يملؤ قلوب معظمهم لكن أغلبهم يقدمون يد العون للمحتاج لكن لا أحد يشبهك هناك لذلك كان انتقالك لهنا حسب قوانين الطبيعة ممهدا وفي نفس اليوم الذي انتقل فيه العم العجوز.

-ماذا تقول؟!! كيف كان ممهدا؟!! وهل انتقل العجوز في نفس يومي وما هي قوانين الطبيعة لديكم؟ وضح لي ماكو ماذا تقصد من كل هذا؟

-تبدين مزعجة كل رد بسؤال كان محقا سيدي حين توقف عن الحديث معك.

-ماكو هل رحل السيد وهو غاضب مني؟ أنا تجاوزت حدودي

أعرف لكن تصرفات سيدك تغضبني أريد إجابة عادلة ماكو لا تقف بجانب سيدك هل تعرف أن تكون قاضيا عادلا؟

-ماكو لا يقول إلا الصواب يا صغيرة كل ما تشعرين به أمر طبيعي وسبب انفعالك يقدره السيد لكن تذكري أنه لولا السيد ما كنتِ حية الآن.

-إذن دعنا نُمضِ الوقت سويًّا في النقاش لا أحب العيش وحدي في صمت أرجوك كن متعاونًا معي أنا أريد العودة لبيتي هل يختلف كوكب الأرض عن الكوكب الأخضر؟ هل سافرت عبر الكواكب أو الأزمنة؟

-السفر عبر الكواكب جارٍ البحثُ.....

-ماذا وجدت؟

-لم يتم تفعيل ميزة السفر عبر الكواكب إلى الآن

-إذن نحن لسنا على كوكب الأرض فهناك نستطيع السفر عبر الكواكب أو ربما سافرت عبر الأزمنة صحيح؟

-لا صحة لما تقولين حتى هنا لا يوجد سفر عبر الأزمنة.. أحتاج إعادة الشحن هلكت بحثًا معك يا مزعجة.

-سؤالان وهلكت؟ قدرات الأجهزة هنا حتى ضعيفة كأصحابها!

ذهبت لتناول الفاكهة وخطر ببالي سؤال ماكو عمن سيعتني بالحديقة في الصباح ربما يسمح لي بذلك حتى أتمكن من الهرب.

-ماكو من سيعتني بالزرع في الصباح؟ هل يسمح لي...

قاطعني قائلًا: ماكو على جهاز الشحن وهذا لن يحدث تناولي طعامك بصمت يا صغيرتنا المزعجة.

لا أحد يريح عقلي في هذا المنزل وكل سؤال بإجابة غامضة.

ذهبت لغرفة النوم وحملت الدفتر لأكمل الكتابة:

أمي كيف حالك؟ اشتقت كثيرًا إليك هل تبحثين عني في المقابر الآن؟، لقد كذبت يا أمي كنت أفكر يوميا في الذهاب للعيش مع جدتي لم أفكر بالموت لكن كنت أشعر في الأيام الأخيرة لي في المنزل أنها قريبة مني وتشعر بي وكنت أراها في أحلامي تبتسم لي وتمد يدها لكن كانت المسافة بيننا طويلة لم أتمكن من إمساك يدها وذهبت للبوح لها بما أعيشه بعد رحيلها.

لم يكن لدي علم أن كل هذا سيحدث كنت أزورها في المقابر لأتحدث إليها عن الدنيا التي صفعتني بالكثير من الكفوف على وجهي والضربات التي تسقط أقوى شخص وكنت أقف بدعمك لكن هزمت يا أمي وفي عزلتي أصابني المرض النفسي وتمكن مني، كنت أخاف من العالم كله ومن أي شيء خارج الغرفة واليوم يا أمي انتقلت لعالم لا أعرفه وأجهل كل ما يدور حوله خائفة جدًّا ولا أقوى على التحمل أخشى الانهيار في أي لحظة.

كان رحيل جدتي مؤلما للحد الذي لن يتوقعه شخص، وعودنا الصغيرة لم تنفذ ولم أتزوج بعد أن رحلت وهي تتمنى أن تري حفيدتها بالفستان الأبيض مع رجل يحبها هي السيدة التي بسببها تزوج الكثير من العشاق لم تنصفها لحظة لتزوج حفيدتها الكبرى بمن تحب.

القدر يلاعبني ولا يحب إنصاف وعودي، كلها وعود مقضومة قضْم الجزر في فم أرنب.

أمي الكثير يرهقني وأحلامي كلها كانت كلامًا وأوهامًا لن تحدث لطالما بكيت وأبكيتك معي على حالي وحظي في هذه الدنيا، ما كان لديك أي حيلة غير الدعاء وتصبير قلبي على ما يمر على من تبدل

في الأحوال.

تنتفض مشاعري ويعتصر قلبي الألم وأتكوم ككومة قش في عش عصفورة تخاف على أولادها من أن يحطم العش فيموت الصغار وأحمل كل خيبات الماضي وجرح الأشخاص العابرين في قطار حياتي وبركان نار لا يهدأ فتشت يا أمي عن الماء لإخماد الحرائق بقلبي لم أجد سوى قطرة ماء بللت بها عطش لساني فقط.

أمي صغيرتك تنهار بلا عودة.. هل تشعرين بمكاني الآن؟

ربما يزول ألم الوحدة والغربة في مكان لا ملامح له.

-ماكو تمت إعادة شحنه يا صغيرة، لمَ تبكين؟ بللت الدفتر، تصرفاتك طفولية. منذ الكثير من الأعوام لم أجد سيدي يبكي كما تبكين الآن هل تفتقد مزعجتنا الصغيرة أمها؟

مسحت دموعي بيدي وأغلقت الدفتر وسألته: كيف عرفت أني أفتقدها وهل يبكي السيد مثلي؟

طرقت أمي باب الغرفة وضعت الدفتر خلف ظهري وسمحت لها بالدخول كانت حاملة الطعام. أمي ضعيه جانبًا لنتحدث قليلًا: في مثل هذا التوقيت كنت أفتقدك وأريد العودة لأحتضنك ولو للحظة واليوم أفتقده هو وحاسبه ماكو وأريد ولو للحظة أن أراه هل سيتحقق الحلم كما تحقق حلم رؤيتك؟ بكل صراحة أجيبيني أمي.

لم تخذلني أمي يومًا كانت دائمًا مؤمنة بي وتثق بكل ما أقوله مهما كان لطالما أنصفتني أمام كل غريب رغم أخطائي وعيوبي وفي الخفاء تعاتبني دون جرحي بكلمة كانت تواسيني لافتقادك ويعتصر قلبها من الألم لكن ليس بيدها فعل أي شيء لو كانت تعرف

طريقك لبحثت عنك.

-تناولي طعامك خسرتِ الكثير من الوزن هذه الفترة عند عودتك كنتِ شابة جميلة لم أتوقع أن هناك من كان يهتم بك بكل هذا القدر.

قاطعت كلامها: ستحبينه كثيرًا يا أمي إنه لا يحب أي شيء سوى أن يراني مبتسمة لقد عانيت حتى فهمته ولطالما علمني الكثير وتغير تفكيري كله بسببه.

-تناولي الطعام من أجله وعودي لعافيتك حتى إذا عاد لا يحزن عليك، لا بد أنه قلق على حالتك الصحية.

كلمات أمي أعادت الأمل في قلبي وتناولت الطعام من أجلك فقط، كانت تنظر أمي لي ولا تتحدث. عرفت أمي بعد تناولي الطعام أن ذكرك سيصلح من الأمر شيئًا وربما ستعمل أمي بعد ذلك على الحديث عنك أخشى أن تكون أمي تضحك علي لأستعيد عافيتي وأتناسى وجودك وأعيش حياتي كما كنت قبل أن أراك.

حملت أمي صينية الطعام سعيدة بتناولي له فمنذ عدت لم أتناول وجبة الإفطار كنت أحب كثيرًا تناولها معك ومشاغبة ماكو لنا كل صباح كان ماكو سعيدًا لابتسامتك دائمًا يا سيدي.

تركت السرير وذهبت لغسل وجهي وتمشيط شعري وحاولت الخروج للشرفة والنظر للشمس وخاطبتها إن كانت تراك فلتعتنِ بك، أعلم أنك تحب الشمس كثيرًا وذهبت للسرير مرة أخرى. منذ عدت لا أقوى على التحرك كثيرًا حركة جسدي ضعيفة ومنهكة وربما عدم تناولي الطعام وكثرة الأدوية أنهكني حملت الدفتر وعدت لأستكمل حديثي مع ماكو.

-قلت إن سيدك يبكي؟

-لديه مشاعر. حين رحلت والدته بكى كثيرا في تلك الغرفة ولم يعتنِ بالحديقة ولم يأكل ولم يخرج من البيت لأيام حتى طرق العم العجوز باب البيت ذات صباح ومكث معه يحدثه عن عائلته ومنحه بعض النصائح.

-لا بد أنه يحب هذا العجوز كثيرًا.

-لولا العم العجوز لما استطاع أن يتحكم في مشاعره ويعود للعمل والحياة الطبيعية مرة أخرى.

-إنك تشبهين العم العجوز كثيرًا لهذا قال سيدي لا حاجة لقتلك وأخذك ليخفيك بعيدًا عن أعين أهل المدينة وحراسها. هل تشعرين بالجوع؟

-لا تناولت الفاكهة شكرًا لك.

-الحمى قد حلت عن جسدك تمامًا يمكنك إعادة ترتيب غرفة المكتب حتى يحل موعد نومك.

-لا يمكنني فعلها لقد عانيت الألم لن تعرفه لأنك لا تعرف مشاعر البشر كما قلت ولن أعيد تجربة ذلك مرة آخرى.

-لا أعرف المشاعر جيدًا لكن أقدرها وأستطيع وصفها، ستحاولين ترتيب غرفة المكتب فالسيد هنا لا يحب الأشياء المبعثرة على الأرض وتحكمي في لسانك السليط هذا قليلًا.

لا بد أن ماكو حزين من أجل إغضابي للسيد ويرى لساني سليطا. مؤكد أنك لا تعرف ماذا تقول صديقتي ريم عني يا ماكو تقول بأني طيبة القلب لكن لدي حفنة من الدبش وهذا أسلوب رمي الكلمات كالحجارة في وجه من يغضبني لو كانت ريم هنا يا ماكو لكان الأمر أفضل إنها تهون علي متاعب هذه الحياة كانت ستصدقني وتسعى معي لإيجاد حل.

-أين شردتِ يا سليطة اللسان؟ إنه يقدم لك مساعدة ثمينة وهي أن تحبك الكتب.

-الكتب أصابتني بمرض وأدخلت حشرة جسدي هل تفهم معنى ذلك؟

-كل اللصوص الذين حاولوا سرقة مكتبة السيد قتلتهم الحشرة ولكن أنتِ الوحيدة التي خرجت الحشرة من معدتك سريعًا وتعافيت من المرض بسبب أدوية سيدي، لم أعلم أن قلبه رحيم بأحد بعد أمه كما فعل معك، قدري هذا الفضل لأنه مميز وصلاحية لا يحصل عليها أحد.

-حسنًا لكن لا علاقة لي بالكتب.

-يسعى السيد أن تجدي في الكتب طريقة لعودتك، الكتب هنا ترشد صاحبها لما يريده.

-هل ستساعدني الكتب برأيك وماذا لو عادت العدوى؟

- الكتب الآن صارت خير حليفٍ لك بعد السيد..لا تقلقي إن أصابك شيء فسأعتني بك.

لم يخطئ سيده حين قال عني إني جبانٌ. لم أدخل غرفة المكتب ليومين، كنت أتناول الفاكهة واللبن وعصير البرتقال والمزيد من الشوفان سيئ الطعم وأحاول التحدث لماكو عن أي شيء لكنه كان يتهرب مني دائما بكلمة: اصمتي قليلًا.

كنت أنام كثيرًا ثم أستيقظ مفزوعة وأستغرق دقائق لأستوعب أين أكون الآن؟

كل أحلامي كانت تشير للعودة وصوت أمي وإخوتي ودموع أبي فرحة بعودتي والواقع كان صدمة لا طريق للعودة؟ منذ متى وتتحقق أحلامي في النوم أو في الواقع؟! كلها مجرد أوهام.

-صباح الخير ماكو مر يومان ولم نتحدث لكن تعبت من هذا الصمت هل لك جسد ماكو؟

-صباح الخير جسدي أفضل منك ولا أعترض حين يقدم لي نفس الطعام كل يوم.

-هل تتناول الأطعمة مثلنا؟

-الشحن هو الطعام الذي يمنحني القوة للبحث والإجابة.

-من صنعك ماكو؟

-سيدي بارع في صناعة الأجهزة الإلكترونية قال بأنه عمل لمدة خمسين عاما على صنعي.

-خمسين عاما؟! أعماركم مختلفة عن الأعمار في عالمي.

-كوكب الأرض حقًّا كوكب غريب لكن كيف تعايشت عليه بكل هذا الغباء لا تفعلين سوى المزيد من المشاكل والكتابة والاعتراض على الطعام أم أن هناك لك عملا وأسرة؟

-ماكو في مدينتي كنت أعاني من مرض خطير اكتشفته فور رحيل جدتي وتمكن اليأس مني، لكن لا عمل لدي سوى الكتابة وتخرجت تقريبًا من سبعة أعوام من كلية الآداب قسم الفلسفة.

- سبعة أعوام عاطلة عن العمل؟! إنها هنا تعد جريمة وتقضين خدمتك للدولة كمسجونة في مقرهم.

-لا انتظر أتممت دراستي ومن ثم انتقلت لأكمل مرحلة الدراسات العليا بكلية أخرى. أمر طويل سنتحدث عنه يومًا ما.

-ومن يريد التحدث معك؟ لا اهتم بشأن هذا ما وجه الإفادة من معرفتي؟

-ماكو أنت أيضا سليط اللسان ومزعج.

-عليك التحكم في انفعالاتك. السيد لو كان هنا لتم حبسك

لأسبوع كامل هذه المرة.

-إذن لا تهتم، لا يهم على الإطلاق كل ما يهم هل فكرت يومًا في مساعدتي للعودة؟

-لا أساعد شخصًا لا أعرفه.

-وهل ساعدت أحدا من قبل غير سيدك؟

-أسعى لمساعدتك وفق أوامر السيد لكن سيدي قال: إجابتك تكون محدودة لأن سلمى شخص ذكي للغاية يدعي الغباء.

-هل تعرف ماكو أعرف رجلًا كان يقول مثل سيدك إنني ذكية ولكن أتظاهر بالغباء.

-ومن هذا الرجل؟

-كان أستاذي الأحمق الذي تخلى عني في أصعب اللحظات.

-وهل يتخلى الأستاذ عن تلميذه في عالمك؟

-لا أعرف لكن كان لي كل شيء يا ماكو أحببت وجوده كثيرًا لقد ساعدني على تنمية قدرات عقلي وعلى التفوق في دراستي بدون قصد كنت أسعى للنجاح من أجل أن ينبهر بي.

-سعيت للحصول على النجاح لإبهار أستاذك وأين طموحك؟

-كنت من قبل وجوده أيضا ناجحة وأسعى لتحقيق طموحي لكن كنت أتخبط في مواقف الحياة على كوكب الأرض يا ماكو هناك عقبات صعبة جدًّا ونفوس سوداء لا تحب الخير لك ولا حتى النجاح وكانت تهزمني كلمة وترفع مني كلمة أيضا وأعتقد على الكوكب الأخضر نفس الشيء يحمل كل نجاح عقبات، لكن ساندني في الطريق وطوال الرحلة كان الداعم إن هزمتني كلمة.

-كيف كان يقدم دعمه لك؟

-بالكلمات.. قد لا يعجبك كلامي كما كان لا يعجب أصدقائي

وعائلتي لكن لم يحدث بيننا لقاء سوى مرتين أو ثلاث وفي تلك الأوقات لم يكن أستاذي كان مجرد شخص عادي بالنسبة لي لكنه تمكن من الدخول لحياتي بعدها لخمسة أعوام حتى صار الأستاذ ورفيق العمر والدرب الطويل لكن بلا أفعال كانت مجرد كلمات لكنها كانت تدعمني وأخرج بها من عزلتي بكل قوة فور مكالمة صغيرة لا تتعدى النصف ساعة بتوقيت مدينتي. صحيح، نسيت أن أسألك التوقيت هنا غريب جدًّا عن توقيت ساعة يدي وهنا الساعة سبعة أرقام فقط هل تفهم في الوقت في عالمي وعالمك تستطيع المقارنة بينهما؟

-ماكو ذكي جدا لكن البشر أذكى منه لقد صنعني بشر لهذا اسألي سيدي ربما يعرف حين يعود جربي التحدث إليه.

-ماكو هل كان لك أستاذ من قبل أو تعرف شعور ما أحاول قوله؟

-تعلقتِ بأستاذك ومن الواضح حسب ترجمة المشاعر أن هناك في نبرة الكلام حزنا دفينا، هل مات أستاذك؟

-مات من الوجود في حياتي لكنه يتنفس جيدًا على أرض الواقع هل تعرف؟ أتذكره دائمًا في دعواتي.

-كيف انتهى دوره من حياتك؟

-ببطء رحل، الكثير من المواقف جعلتني أحاول الهروب أكثر من مرة حتى استجمعت قواي ورحلت من حياته بلا تقديم سبب للرحيل.

-هل عاود البحث عنك؟

-كان أول شخص لا يهتم لرحيلي بالرغم من أنه كان أهم شخص أعرفه والرجل الوحيد في حياتي.

-هل أحبه قلبك مشاعر وهكذا؟

-ماكو إنه أستاذي تعلقت به لكن لم أضعه في خانة الحب المشهورة بزواج وهكذا لكن أحبه كأستاذ ورفيق للعمر كصديق تفهمني؟

-أفهم ما تعنينه لكن هذا الرجل شخص سيئ، الأستاذ لا يترك تلميذه وحده إلا حين ينتقل لعالم الموت كما لم يتركني سيدي هكذا.

-ماكو إن أستاذي رجل مشغول يعمل كثيرًا لا وقت لديه لمحادثتي لكن كان يسعى في وقت فراغه أو لدقائق على الهامش أن يطمئن علي.

-يسجل ماكو الآن إشارة كذب يا سلمى هل تصدقين ما تفوهتِ به من كلام عنه؟

-ماكو لن أكرهه ما زال في القلب لكن تعودت على غيابه لو كنت مهمة لسأل عني لكن ترك لي حريتي والتحرر من حياته ربما كان يريد ذلك قد كتبت له الكثير من الرسائل لكن لم أرسلها له شخص لم يكن معي في أصعب المواقف لا يستحق رسائلي.

-ماكو يسجل إشارة مشاعر حزن مرة أخرى مصحوبة بسؤال: هل تخليت عني يا أستاذي؟

-لا ماكو أسأل نفسي: هل تركتني يا رفيق العمر بهذه الطريقة؟

-لا يصح أن نطلق على الراحلين رفقاء عمر، رفيق العمر يا سلمى شخص يساندك بكلماته وأفعاله في المواقف السيئة قبل السارة على مدار حياتك حتى الموت لكن هو مجرد أستاذ لمرحلة وماكو لا يراه حتى يستحق لقب الأستاذ.

-أنت على حق يا ماكو شكرًا لك على سماع حكايتي. هل سيتأخر سيدك بالعودة؟

-لم أتلق منه أي إشارة بعد. سأبلغك فور علمي بقدومه لا تقلقي، متي ستتمكنين من الدخول لغرفة المكتب لترتيب الكتب؟

-لم أستعد بعد خائفة قليلًا.

-لا وقت لديك عالم الكتب هنا يشبهك ويلاعب خيالك وأفكارك ستندمين إن لم تقدمي أولًا يد الصلح للكتب في أقرب وقت.

-جائعة جدًّا ومللت الطعام؟

-هل تعرفين الطبخ سلمى؟

-ليس كل الطعام لكن أحاول أحيانا الطبخ في المنزل.

لم أخبر ماكو عن حرائق المطبخ والطعام الذي يلقى مثواه في النهاية لكلاب الطرق أو في القمامة لأن الكلاب قد تشمئز منه.

-حسنًا سلمى ما يخطر على بالك الآن من طعام لتناوله أبلغيني به؟

فورًا لم أتردد قلت: دجاج

-دجاج كل الدجاج ستقومين بطبخه؟ مغفلة جدًّا كم تتسع معدتك لكل الدجاج!

-ماكو من فضلك أعطني فرصة للتحدث، آكل نصف دجاجة لأني جائعة ولا أرز لديك ولا خضروات للطهي فقط أريد دجاجا.

-ماكرة يا سلمى لا يوجد دجاج هنا، تعد جريمة بالنسبة للسيد إدخال الدجاج المنزل والدجاج هنا يتركه السيد يمرح في حديقته.

-إذن ناخذ من الحديقة دجاجة ونقوم بذبحها وطبخها، ما رأيك؟

-سلمى، من الأفضل أن تصمتي وركزي في كيفية التخلص من أستاذك؟

-التخلص منه كيف؟ قتله يعني؟

-جاوري من تهون عليه الدنيا في سبيل ألا تهوني يا صغيرة قصدت التخلص منه من أفكارك.

-دعك من أستاذي هل سنحصل على دجاجة؟ جائعة أنا.

-تناولي خضروات صحية لك أفضل، حالة صحتك الجسدية ليست على ما يرام انتبهي لجسدك هو مهم لتقاومي العيش هنا.

-كيف أصل للمطبخ هنا؟

-المطبخ غرفة الطعام تقصدين؟.. على اليمين الغرفة الثالثة

ذهبت فوجدت غرفة واسعة أكبر من غرفة النوم أظن ضعف حجمها والتكييف فيها بارد جدًّا وباب حديد طويل مثل صاحب البيت مؤكد أنني القزم الوحيد في هذا العالم.

-ماكو ما هذا الباب الحديدي؟

-باب الثلاجة لكن لا تحتوي على أي نوع من اللحوم، فقط: مفاتيح الكتب وخضروات وفواكه وماء وعصائر معلبة.

-مفاتيح الكتب في الثلاجة! لماذا؟

-سلمى تناولي الطعام بصمت أفضل لك قد حذرتك كثيرًا لتصمتي لن أجيبك مرة أخرى إن استمررت على هذا الحال.

فتحت باب الثلاجة وجدت الكثير من أكياس الدم وكأنه بنك الدم في مستشفى مدينتي للحالات الطارئة، هل صاحب البيت مصاص دماء يتغذى على الدم كنت أمزح حين أشاهد مسلسلات مصاص الدماء وحبه للبطلة وكنت أتمنى ذلك لكن في هذا الوقت لو كنت ميتة أفضل لي من تجربة ما كنت أوده مازحة به من قبل؟

أصاب قلبي الرعب ولم أتمكن من أخذ شيء من الثلاجة وأغلقت الباب وخرجت للصالة بسرعة.

هل يتغذى الرجل على دمي؟ هل سحب الدم مني عن طريق الحشرة؟

هل تمهد الحشرة له سحب الدم من جسدي لهذا فوجهي لونه أزرق لم أفكر في أي شيء سوى الهروب من هنا لكن ماذا لو كل المدينة تتغذى على الدم؟

-ماكو هل تتغذى على الدم؟

-الدم؟ أتغذى على الكهرباء لإعادة الشحن مجددًا.

-كل أكياس الدم في الثلاجة هل تعود لسيدك؟

-نعم ملك للسيد

-هل يتغذى سيدك على الدم؟

صمت ماكو وأصاب قلبي الرعب وشعرت بالتجمد من البرودة وانتظرت رد ماكو بصعوبة في التنفس.

-ماكو لماذا توقفت عن الكلام؟

-أعتقد أنه قد أخطأ السيد حين قال بأنك ذكية. الغباء تحكم في كل خلايا دماغك.. أكياس الدم هي مفاتيح الكتب يا غبية.

-مفاتيح الكتب لم أفهم شيئا، ما علاقة أكياس الدم بفتح الكتب؟ ما الحكاية؟ هل تسحب الكتب الدم من كل من يحملها عبر الحشرة التي خرجت من جسدي؟ وهل تناولت الدواء من أجل ذلك حتى يتوقف النزيف الداخلي ويسحب الدم مني في أثناء النوم؟

لم تتوقف دماغي عن التفكير حتى أصابني صداع شديد لو تناولت مسكنات الأرض كلها ما تحكمت بهذا الصداع حاولت

العودة للفراش والنوم لكن لم يأتِ النوم لعيني من شدة التفكير، جفن عيني لم يتوقف عن الحركة تذكرت أن جدتي كانت تقول بأن هذا مؤشر سيئ، رفة الجفن كثيرًا تترجمها أمي قلقا، وقلة تناول الطعام تفعل كل ذلك.

لكن من المؤكد أنه مؤشر سيئ أشعر بذلك.

آخر الليل من تحت الفراش هاربة من الانهيار والحكايات والذكريات وما حدث اليوم كل ما أحاول فعله هو التخلص من هذا التفكير حتى نمت حين حل الصباح.

استيقظت لا صوت ولا أعرف كم الساعة في هذه المدينة الآن ولا أحب دخول غرفة المكتب لكن سمعت صوت حركات يهز أرجاء المنزل ناديت على ماكو لأسأله ماذا يحدث ما هذا الصوت؟

-ماكو ما الذي يحدث المنزل يهتز هل هذا زلزال؟

-حراس المدينة يستعدون للعودة قد انتهت خدمتهم الصباحية.

-وما علاقة ذلك بهذا الصوت؟

-أعدادهم تتجاوز مليوني رجل يمشون بخطوات ثابتة ومتشابهة ولكن هذا الصوت إثر هزات أرضية تنتج من الأسلحة معهم.

-ماكو لم أسمع هذا الصوت من قبل؟

-كنتِ تنامين كالقط ليلًا لا تشعرين بشيء واليوم استيقظت في موعد رحيلهم صباح الخير أيتها المزعجة.

-صباح الخير ماكو هل يُسمح لي بتناول الفطار؟

-أعددت الفطار لك يمكنك تناوله خارج الغرفة في صالة الاستقبال ولو أننا لا نستقبل شخصا آخر غيرك لكن دعينا نعتبركِ

ضيفا حتى تجذبين كل الأفكار للوصول لحل لمدينتك.

خرجت للصالة وجدت الطعام على المنضدة. جبن أبيض وكوب لبن ورقائق من بسكويت الشوفان تناولت اللبن ورقائق البسكويت فقط واتجهت لغسل وجهي، لقد نسيت حقًّا أن لي وجها يحتاج للغسل بعد الاستيقاظ مباشرة.

أفتقد كحل عيني لكن مكحلة الحزن تقوم بواجبها مع عيني لا حاجة للكحل.

من الحمام مباشرة لغرفة المكتب بعد انقطاع أيام عن الدخول لها نظرت للكتب مرمية على الأرض تذكرت مشهد عنف السيد وما حدث ليلتها وحاولت التقرب من الكتاب الذي يقع بجانب الباب وحملته ووضعته في المكتبة كتابا تلو كتاب حتى انتهيت وساعدني جهاز التنظيف في ترتيب الغرفة لم يصدر ماكو في هذا التوقيت أي صوت ظننته مهتمًا ومذهولًا لما فعلته.

لكن ماكو كان يعيد شحن نفسه وبعد القليل من الوقت كنت شاردة الذهن في المكتب كل هذه الكتب للسيد حاولت أختيار كتاب ليمضي الوقت الممل هنا بسرعة وربما حتى يعود السيد حقًّا أفتقده. شعور غريب أن تفتقد شخصا لا تحبه ولا تفهم شعورك نحوه ربما أتمسك به ليساعدني للعودة.

عاد صوت ماكو المزعج لكن صار ماكو أنيس وحدتي هنا رغم أنه مجرد حاسوب لم أر شكله بعد.

-من المؤكد ماكو يحلم يا صغيرتنا قمتِ بترتيب الغرفة والكتب وساعدك جهاز التنظيف تتصرفين كما لو كنت السيد هنا.

-لمَ أصابك كل هذا الصمت أين كان صوتك؟

-كنت على جهاز الشحن سمعتك لكن كنت أحاول تهدئة

عقلي من صوتك المزعج وتجاهلتك.

-شكرًا سيد ماكو على تجاهلك.

-لا شكر سيدتي هذا واجبي.

-أحاول البحث عن كتاب أقرؤه لكن لا عناوين هنا للكتب ساعدني بكتاب مشوّق يمنحني التسلية لبعض الوقت.

-هنا لا عناوين للكتب الكتب هي من تختارك

-كيف تختارني الكتب ماكو؟

-هل حصلتِ على مفتاح للكتب؟

-هي مجرد كتب ما هو مفتاحها؟

-الدم يا غبية في أكياس الثلاجة هو مفتاح الكتب.

-هل تمزح؟ أكياس الدم هي مفتاح للكتب كيف هذا؟ هل كان كلامك حقيقيا؟ الدم يفتح الكتب؟

-نعم اذهبي للثلاجة وافتحي كيس الدم وضعيه على دائرة الحديد الموجودة في وسط الغلاف لأي كتاب تحبين التصفح فيه.

دب النشاط والحيوية في يدي فذهبت للثلاجة وفعلت ما قاله ماكو ذهلت جدًّا حين امتصت دائرة الحديد الدم وتشبعت به وفتح الغلاف صفحات فارغة ثوانٍ وظهرت صورة العقرب المطبوعة على قبعة السيد وخاتمه.

-ماكو ما حكاية هذه الصورة عقرب أم حشرة لا أعرفها؟

-عقرب ذكي كان يعيش مع عائلة السيد ورحل معهم.

-رحل، إلى أين رحلت عائلة السيد؟

هزة أرضية أسقطتني والكتب على الأرض وصرخت فجأة:

-ما الذي يحدث البيت يهتز يا ماكو ماذا هناك؟

-إن ماكو يفقد سيطرته.. عليك الهدوء لقد عاد الحراس لا بد أنه تفتيش كلي في المدينة ربما هناك دخيل جديد أو لص هارب.

سقوط الكتب على الأرض وعلى رأسي أصاب وجهي بخدوش بسيطة ويدي لم ألاحظها في هذا الوقت أصاب قلبي الذعر.

-ماكو رجاء حاول الوصول لسيدك أنا خائفة.

وأخذ صوتي في البكاء يرتفع وحاول ماكو تهدئتي وقال بأنه سيحاول التغلب على هزة هذا المنزل لأن سيده لا يستطيع التواصل معه الآن.

دقائق قليلة وتوقفت الهزة الأرضية وطلب مني ماكو التوجه لغرفة النوم لتضميد جرح يدي ورأسي وذهبت. كانت مجرد خدوش وضعت عليه القليل من مسحوق البودرة البيضاء يقول ماكو بأنها لمعالجة الجروح وفجأة أصدر ماكو صوت نفاد البطارية أخذ يردد: ماكو يفقد طاقته إثر تغلبه على هذه الهزة، التزمي الصمت سأذهب للشحن.

انقطعت كهرباء المنزل ولم يستطع ماكو شحن نفسه وهنا دب الرعب في كل أطراف جسدي وقلبي وعاد البرد مرة أخرى أعض على أسناني وتكومت في الفراش، ماكو ماذا سنفعل؟

-لا تتحركي مهما حدث من هنا حتى تعود الكهرباء إن فقداني للطاقة يستغرق دقيقة تذكري تحذيري لك لا تتحركي حين تعود الكهرباء ستجدينني في الغرفة رقم ثلاثة على اليسار تذكري الرقم جيدًا ستضغطين على زر الكهرباء الأبيض بجانب الباب ثم سمعت رسالة صوتية:

تم نفاد الشحن.

انتظرت قدوم الكهرباء فجسد ماكو لم يواصل الصمود وتأخرت الكهرباء وعادت الهزة الأرضية مرة أخرى أصعب من صوت البرق والرعد في السماء وصوت الجنود عالٍ سمعت أحدهم يقول: فتش كل البيوت بحرص لا بد أن نعثر على ذلك الغريب الذي وجدنا أثرا له في جهاز الاستشعار اليوم، من يحصل عليه يسلمه للعدالة.

توقف قلبي في هذه اللحظة من الخوف وأصابني شق في صدري غريب ظننت أن القفص الصدري قد تم كسره وخرج قلبي لم يعد يقوى على التحمل. ذهبت مسرعة للغرفة لأبحث عن ماكو الجو مظلم لا شيء واضح والغرفة باردة بصوت خافت:

-هل أنت هنا ماكو؟

لا إجابة تصل. سمعت صوت إنذار ينبعث من جهاز مرمي على الأرض يصدر وميضا أبيض حاولت لمسه كان شيئًا طويلا على الأرض لم أحدد شكله جيدا إنه جسد ماكو على ما أظن.

طرقت أختي باب الغرفة وأغلقت الدفتر وتحت الوسادة وضعته حتى لا تحاول التلصص عليه وقراءة ما به إنها تخاف علي وتبكي في الخفاء على حالتي إنها تستمد مني كل الدعم لطالما كنت لعائلتي خير الداعم والسند لهذا لا فرصة لدي لأظهر هزيمتي ولكن بسببك هزمت أمام الكل لأول مرة وأنا القوية التي ما اعتاد العالم من حولها على عقد صفقة ضدها مع ضعفها لم أسمح بذلك وبسببك قدمت عقودا وختمت بقلبي ومشاعرى أني أضعف أهل الأرض في غيابك.

كانت تريد مني الخروج من الغرفة والبقاء معهم في الصالة لمتابعة أفلامي المفضلة فلم أستطع قبول ذلك لكنها ظلت تحكي

لي ما الذي حدث في غيابي وكيف عانت أمي وأبي في البحث عني في مراكز الشرطة والمستشفيات وحالة اليأس التي تمكنت من أبي وبكاء أخي على افتقادي قالت جملة كانت سببا في نهوضي في اليوم التالي: لم تفقد أمي الأمل في عودتك أبدًا كعادتها محسنة الظن بالله ومن يحسن ظنه بالله لا يخيب أبدًا. إنك هنا الآن بفضل دعوات أمك وثقتها أنك عائدة كلنا حاولنا تقبل الأمر بعد عام ونصف حملنا الحزن في قلوبنا وكتمناه ودعونا لك لو كنتِ على قيد الحياة أن تكوني بخير وتعودي وإن كنتِ ميتة ليرحمك الله ويلهمنا الصبر. كانت أختي تبكي بحرقة وهي تتحدث وكان عقلي قد وقف عند جملتها: لم تفقد أمي الأمل في عودتك أبدًا وحسن ظنها بالله كان السبب في وجودك وسط عائلتك.

خرجت أختي من الغرفة وقد عزمت على ألا أفقد أملي في عودتك وأحسن الظن بالله كما فعلت أمي، الله قريب من قلوب الأمهات ومؤكد من قلوب المحبين أعتقد أنك تحاول التفتيش عني ولن تهدأ هذا شعور مؤكد أتمنى ألا تخيب ظن شعوري.

اتصلت بهاتف ريم صديقتي لقد عانت للوصول إلي والبحث عني على كل مواقع التواصل الاجتماعي نشرت صوري لكل من يعرفني ليبحث عني قالت لي: جاء لها الكثير من الاتصالات التي يجزم أصحابها أنهم وجدوني وكانت تذهب ولا تجد صحة لما قيل لها.

إنها رفيقة كل حكاياتي وهي من تساعدني على النهوض كلما ضعفت هذه المرة تهربت منها وأغلقت هاتفي اتصلت بعائلتي لتتطمئن علي. تقبلت ما أعانيه كانت ترسل الرسائل يوميا على الإنترنت في كل تطبيق إلكتروني يدعم إرسال الرسائل وكنت أقرأ ما

تكتب ولا أجيب.

كان ما يجعلني أحبها أكثر في كل مرة أول اتصال حين عدت قالت: أيا كان ما حدث أنا هنا أدعمك وأصدق ما تقولينه ولا حاجة لي بكلام الأطباء فقط أصدقك وسنسعى للبحث عنه وفي كل رسائلها تختم بجملة: إنه سيعود لقد أحبك حقًّا وأعتقد أنه يبذل جهده للبحث عنك انتظريه لكن لا تقفي مكتفة اليدين حتى عودته سيغضب منك إن عرف بما تفعلينه بنفسك.

اتصلت بها فأجابتني على الفور: يا صديقتي الغبية كما كان يقول هو. ضحكنا معًا

قلت لها: لقد عزمت على العودة لحياتي ولكن لن أفقد الأمل بعودته كنتِ محقة كلام أمي صحيح لا بد لي من تجاوز مرحلة الأطباء والأدوية ودعم نفسي حتى يأتي ويجدني بخير وأيضًا سأفتش عنه في الخفاء هل تساعدينني؟

لم تتردد لحظة فأجابت: لو سنبحث في كل الأرض أنا معك حتى لو سنضطر لبيع ملابسنا للوصول لشخص يدلنا عليه.

ريم أخت لي ليست مجرد صديقة عادية إنها حديقة زهور مزهرة في حياتي وكتفي اليمنى ورفيقة لمشاعري المتهورة والعادية وصديقة مخلصة لقلبي نتشاجر كثيرًا وفي اليوم التالي نتحدث كأن شيئًا لم يكن.

لو سنحتفل بصداقتنا فلا يكفيها أي كلام ولا تعبر عن قيمتها الهدايا ولا ينصفها قلبي إلا بالدعاء ليتها كانت جزءا من عائلتي نعيش سويا في غرفة واحدة. إنها خير من يمازحني لأضحك رغم ما بي وكانت رفيقة استقبال أول مرض خطير عانيت منه ولم تتمكن مواساة أحد من مساعدتي غيرها. رغم أن المسافة بيننا طويلة

وبيتها بعيد لكنها قطعة تملك في القلب غرفة لها لا يحق لأحد الاقتراب منها ولو رحلت من حياتي حتى لن أكرهها أبدًا لطالما كانت كل الحب لي وكل النصح ويد العون في كل شدة ولطالما صدقتني حين اتهمني الجميع بالجنون والهوس بشخص غير موجود والبعض قال: لقد عاشت في عالم الجن مع جني أحبها وأحبته.

أتذكر حين بكيت لها وقلت: لا يصدقني أحد، يقول الناس: إنه ليس بشرا بل عفريت.

ضحكت قائلة: ومن يصدق بكل ما تحكيه أنه بشر حتى الجن لا يحب كما تقولين ربما هو نوع آخر أشك أنه فضائي.

أغلقت معها الخط عازمة في الصباح على النهوض بحياتي للأفضل من أجله وخبأت الدفتر في درج أحتفظ فيه بكتب الجامعة وفي وسط الكتب وضعته حتى لا يجذب انتباه أحد ولو صدفة.

وذهبت للنوم واطفأت نور الغرفة وتذكرت كل ما كنت أعانده أو أشاكس فيه ليضحك لأنه غاضب مني كان يردد (أغفر لك كل ما تفعلينه لأنك سلمى واحدة فقط في قلبي وعقلي).

كنت أفتعل المشاكل لأسمع هذه الجملة حتى فهم الأمر وأخذ يلاعبني حتى أطلب منه قولها.

غفوت في النوم واستيقظت على صلاة الفجر في عالمه لا صوت للأذان لكنه يعرف الله بقلبه قال لي إنه يصلي بقلبه وبمشاعره ويخاطب الله قبل نومه، علمته الكثير عن الدين وعن الصلاة لكنه علمني كل شيء حتى كيفية الابتسامة كان له الفضل فيها منذ عودتي لو ابتسمت تنظر لي عائلتي ضاحكة قالت أمي:

ابتسامتك جميلة تفرح قلب من يراها.

قلت لها: قد تعلمت منه كيف أبتسم تركيزه للتفاصيل أضاف مغناطيسا في قلبي يجذبني نحوه.

وضعت السجادة على الأرض وارتديت حجابي وذهبت للصلاة وطلبتك من الله بدموعي وما بكيت في حياتي كمثل هذا اليوم.

وعدت أفتح الدرج لأطمئن على الدفتر فوجدت يدي تفتح الصفحة التي توقفت عندها وأواصل القراءة كنت قد توقفت عند سماع صوت الحراس للبحث عن غريب في مدينتهم كنت مفزوعة وتأكدت أنه تم كشف أمري وسيتم إعدامي في ميدان عام لا محالة الليلة.

حاولت طلب الاستغاثة من ماكو لكن نفدت بطارية شحنه، لا يرد حتى سمعت أقداما تصعد على سلم المنزل علمت أن دور هذا المنزل في التفتيش قد حان لم أفكر في أي حيلة سوى القفز من شباك الغرفة فأخذت معطفه الذي وضعه علي في أثناء النوم وارتديته كان طويلًا علي وقفزت من الشباك لأقع في الحديقة على الأرض وأسمع كسرا في قدمي ربما الكسر في جسدي كله أخذت أصدر صوت أنين من الألم وشعرت بشيء ساخن ينزل من رأسي ربما الدم لا أعرف كل جسدي لا يقوى على الحركة وسيتم القبض علي لا محالة في هذا الوضع أين أنت لتخلصني منهم؟

استمر التفتيش في المنزل طويلًا حتى وجدت صوت أقدام تجاهي عشت الرعب في الثواني المعدودة على الأصابع وكأنها سنوات حتى وجدت رجلا عجوزا جدًّا يحمل عكازه البني ويقول: ابنتي لا تتحدثي، يبحثون عنك سأحملك للعربة بلا صوت لا

تخافي إنك أمانة لدي أنا صديق صاحب البيت لا تخافي عندما يعود سأرجعك.

كان نجدة من الله وجود هذا الرجل حملني وأدخلني العربة وتحركت عربته وفي وسط الطريق توقف وقال: سيحاول الحراس تفتيش السيارة لا تقلقي إنها مجرد إجراءات عنيفة عادية نزل من سيارته يسألهم ماذا هناك لمَ التفتيش في كل المنطقة؟

رد عليه أحد الحراس: غريب قد كشف تسجيله على شبكة الاستشعار في المدينة وأمرنا الرئيس بالكشف عنه والبحث في كل بيت وأنت لا تتأخر بالخارج حتى لا تعود للسجن مرة أخرى.

قال: حسنًا كنت أوزع الورق الإخباري على البيوت وعائد لمنزلي، هل تريدون تفتيش العربة اليوم أيضا؟

رد الحارس: لا حاجة نحن مشغولون بالبحث، من يهتم لأمرك أيها الرجل؟ لقد فتشنا بيتك منذ ساعة لا أثر لشيء أساسًا لا يشك أحد بك قد تأدبت بما يكفي ولن ترتكب خطأ تعرف العقوبة.

دخل العجوز سيارته لم تبدُ ملامحه واضحة في عيني بعد الوجع وصوت الأنين يزداد قال: تمهلي سنذهب للبيت ونعالج جروحك ترتدين معطف صاحب البيت هل لك علاقة به؟

-كنت خائفة من إخباره بأي شيء ولم أرد على سؤاله.

ضحك وقال: لا تقلقي لن يتم كشفك هنا في السيارة جهاز يفقد قدرتهم على الاستشعار بك. لا بد أنه ألح علي طويلًا بشأن الدفتر من أجلك ماكر هذا الشاب منذ صغره لم يكن يلح علي من أجل أحد لا بد أنك شخص غالٍ على قلبه كان عقلي محقا لمراقبته هذه الفترة لولا ذلك لعثروا عليك.

وصلنا البيت وأدخل السيارة في مخزن صغير وأسندني كنت أصرخ من الألم لا أستطيع المشي على قدمي ولا تحريك يدي لا بد أنني أصبحت عبارة عن كسور كانت القفزة جريئة ومتهورة مني ومن سيصدق أني فعلتها؟

قال: سندخل من الباب الخلفي للمنزل الحراس لن يتحركوا اليوم من هنا ولا من كل أرجاء المدينة فقط تحملي الألم حتى يتم فحصك.

صعدنا للمنزل يشبه منزلنا كثيرًا عادي ألوانه مريحة للعين وضعني على سرير في غرفة صغيرة وأحضر حقيبة صغيرة وقال: كنت يومًا طبيبًا في مدينتي قبل أن أدخل هذه البلدة.

إذن هذا هو العجوز حقًّا يشبه البشر في عالمي طوله عادي وجسمه هزيل ولغته مثلنا ويتحرك بخطوات عادية وجفون عينه لا تصدر صوتا وتغطي التجاعيد وجهه لكنه حنون جدًّا ومهتم لأمري ما حكايته يا ترى؟

فحص جسدي وقال: كسر في الركبة اليمنى وخلع في مفصل الكتف الأيسر وشروخ بسيطة سنتمكن من معالجتها لا تقلقي. خرج من الغرفة كان صوت الأنين عاليًا لم أستطع التحكم حتى عاد يحمل حبة صغيرة قال: هي مسكنة أستخدمها لتحمل جروحي حين أعود من السجن مضروبًا حتى الموت لا أشعر بعدها بألم.

تناولتها بمساعدة منه وحمل منشفة وماء ومسح وجهي وقال: ترتدين ملابسه لماذا؟

كانت ملابسي عفنة يا سيدي فارتديتها خلسة من ورائه إنه لم يكن بالمنزل ولا أعتقد أنه كان سيسمح لي بذلك.

ضحك وقال: لهذا يهتم لأمرك. مشاكسة. لم يشاكسه أحد

من قبل إنه لا يسمح لأي شخص بالتحدث معه حتى إنه معي قليل الكلام وأنا أقرب شخص له في هذه البلدة.

مسح الدم من على وجهي وقال: خدوش بسيطة تحملي سنحاول إعادة المفصل مكانه ولف الكتف والركبة بإحكام. أيام ليست بقليلة تنتظرك حتى تتمكنِي من التعافي.

كنت قد غفوت أو ربما الإغماء حين استيقظت وجدتني ملفوفة بإحكام كل جسدي حتى رقبتي لم أستطع تحريك يدي ولا أصابعي حتى حاولت مناداته قلت: سيدي العجوز لا أعرف اسمه وما كان لدي اسم في بالي أناديه به.

أتى ضاحكًا: مشكلة أنتِ المزيد من الصبر أطهو لك شُربة دجاج، هل يقول السيد حساء أم شربة؟

-لا، يقول شربة من الشوفان.

ضحك وقال: تعلم مني كلمة جزاه الله خيرًا أجهد حاله في تعلمها إنه لا يعرف الطهي ويعيش على الفاكهة والخضار الطازج، من أعد لك شوربة الشوفان؟

-هو من أعدها وحده بدون مساعدة هل تعتقد أن ماكو يساعده؟

-تعرفين أيضا ماكو لا بد أنه قد جن وسيضع حاله بمأزق لماذا لم يخبرني؟ كنت أعرف أنه يخفي شيئًا عني حالته لم تكن الحال طبيعية ولم يتردد على زيارتي كل يوم كما كان يفعل كان مشغولًا بأمرك أكيد.

لحظة؛ لقد نسيت الشربة. دقائق وسأعود؟

عاد حاملًا شربة الدجاج وقطعة كبيرة منه في أطباق. كنت فرحة جدا وقلت له: منذ الكثير من الأيام على وجودي هنا

اشتقت حتى لرائحة للدجاج ظننت أني لن أتذوقه غير في الجنة لو دخلتها لكن حتمًا بعد كل ما رأيته هنا سأدخل الجنة.

ساعدني في تناول الشوربة وقطع لي الدجاج ووضعه في فمي فشكرته كثيرًا على ما فعله من أجلي. لم يهتم للشكر قال: تذكرينني بحفيدتي تمنيت لو تكون كبيرة مثلك الآن، كنت أحبها كثيرًا وألعب معها مر الكثير، كم عمرك؟

-خمسة وعشرون عامًا.

-لا بد أنها في نفس عمرك أو أكبر قليلًا في عيد ميلادها كل عام أحتفل به أنا وصاحب الملابس التي ترتدينها الآن السيد صاحب البيت الذي تمكن بحرص من إخفاء أمر وجودك لا بد أنه يخاف فقدانك.

-أبدًا.. إنه لا يحب وجودي ويسعى دومًا لتهديدي بالقتل ويتركني وحدي مع ماكو كثيرًا هل ستعود الكهرباء في منزل السيد قريبًا؟ أخشى ألا يتمكن ماكو من الوصول لسيده وشحن نفسه مجددًا أنا قلقة عليه.

-ماكو حاسوب كأي جهاز يعمل بالكهرباء إنه فقط كالكمبيوتر يرسل الرسائل سيشعر صاحبه بقلق إن لم يتلق رسائل وسيعود للبحث عنك لا تقلقي عليه إنه بخير.

-كيف عرف أني لا أقصد ماكو بل أقصد سيدي؟

-هذا العجوز ماكر كما يقول عن السيد لا بد أنه صديق قديم للعائلة كما حكى لي سيدي.

إنه يتكلم عن السيد بعتاب كما لو أنه ابن له!

-ما اسمك سيدي؟

- لم ينادِني أحدٌ بهذا الاسم من قبل، هذا الاسم يعود لصاحب

البيت الذي عثر عليك ولم أكتشف بعدُ كيف تمكن من ذلك، لكن ناديني كما تشائين يا جميلة.

حصلت على الكثير من الألقاب في هذه المدينة ولم اقابل بعد غير شخصين وحاسوب: المزعجة والصغيرة والغبية والجميلة ماذا تبقى بعد؟

ناديته كما يقول عنه ماكو: العم العجوز

ضحك وقال: لا بأس حلو هذا الاسم.

كان العم يقضي وقته طوال اليوم في قراءة كتاب أو في المطبخ أو يحاول إطعامي والحرص على تناولي الدواء في موعده وكنت يوميا لا أتوقف عن سؤاله: هل تعرف متى سيعود يا سيدي؟

كان رده في كل مرة: أرى أنك نسيتِ هم ألمك وإصابتك وطريق العودة لمنزلك وكل اهتمامك السيد فقط. السيد يعود منزله للنوم فقط لا وقت لديه ولكن هو الآن في مهمة مكلف بها من الدولة ويتأخر فيها لوقت لا يعلمه أحد سوى الله تنتهي المهمة وفق إنهاء كل العمل المكلف منه.

-سيدي كان يذهب للعمل في ساعات ويعود يمكث في غرفة المكتب حتى يحل الليل لم يكن يعود على وقت النوم أبدًا وكان مشغولا دائمًا ولكن كنا نتحدث قليلًا وأيام تمر لا نتحدث حين يغضب مني وكان يعد الطعام لي في توقيته كل يوم حتى ماكو يفعل مثله.

-إذن لقد وقع الماكر الصغير في حب بشرية ليترك عمله في توقيت باكر إنه غبي لم يلاحظ ما حل عليه لم يخبرني بقطعه لوقت دوامه وكيف وهو الرجل الوحيد الأكثر انشغالًا في هذه المدينة؟

-ماذا يعمل يا عمِّ؟

-إنه قاضٍ عادل جدًّا وصارم في حكمه ويعد أهم رجل في الدولة هنا لا يدق قلبه للحب أبدًا وإلا خسر كل صلاحياته في العمل. منعزل وحده إنه يأت إلي في وقت قليل لو كانت الدولة سمحت له براحة ليوم يقضيه معي. ما حل بك يا بني؟

-بني! هل تعتبره ابنك سيدي؟

-ابن صديق عمري هنا والده أكثر من دعمني ووقف جانبي وأوصى بالعناية به لكنه كبر وصار يخفي علي الكثير وخاصة أحوال قلبه.

-لا تنزعج يا عمِّ إنه حقًّا لا يحبني أثق من ذلك.

-أتمنى يا جميلة أن يكون بخير ولا يعاني من شيء في قلبه تجاهك. لا تعرفين شيئًا عنه الكثير لا يكفي لو قررنا التحدث عنه لكن إن صدر منه ما يزعجك فهو بطبعه عملُه لا يتحكم في انفعالاته، عقلُه لا يهدأ من التفكير، ويستمر في البحث عن العدالة. الناس هنا خطر وكل خطأ يقدمون أمامه الكثير من الأدلة لتثبت براءتهم يتلاعبون بالحقائق لهذا يقع على عاتقه حمل كبير هو كشف الحقائق والأدلة المزورة.

يذهب العم كل يوم قرب المساء لتوزيع أوراق على أهل البلدة سألت عنها فمنحني كل يوم ورقة كأني من أهل البلدة وقال بأنها ورقة سيدك احتفظي بها بعد الانتهاء من القراءة.

كنت مبهورة بما يكتبه العم من قصص وحكايات وملحوظات ونصائح في كل ورقة وتتبعه لحالة الجو كل يوم لهذا تركوا العم يعيش هنا وفق موهبته!

مر أسبوع حسب ما يقول هذا العم على بقائي بمنزله أسبوع ولم يأتِ ولم يهتم هل عادت الكهرباء في منزله؟ وكيف حال ماكو؟ وهل يتواصل معه ويعرف أخباري؟ من أنا ليهتم بي وما علاقتي به؟ أريد العودة والمساعدة من أي شخص لا يهم هو إنه لا يحبني ولم يكن يحب وجودى وكان يراني مزعجة لكن ما حال قلبي الغبي يشتاق لرؤيته وعيني وعقلي لا يهدآن أريد الاطمئنان عليه.

حين عاد العم في المساء كنت بدأت بالحركة بواسطة عكاز العم قد أعطاه لي ليساعدني على الذهاب للحمام وتناول الأدوية في غيابه كانت حركة رأسي بدأت بالتعافي قليلًا لكن لم أحركه بشكل طبيعي لفترة كبيرة ربما لشهر أو أكثر.

عاد العم حاملًا علبة من السكاكر قائلًا: السكاكر الملونة هنا طعمها لا مثيل له تذوقيها.

تذوقتها كانت أشبه بحلوى غزل البنات في مدينتي ثم سألت العم عنه مرة أخرى قال:

تسألين عنه في اليوم عشرين مرة ألا تنتبهين لذلك؟

وفتح شاشة التلفاز وقال: إذا كنت تشتاقين له لهذا الحد ولا تتوقفين عن السؤال عنه فشاهدي جلساته في المحكمة المسجلة. بارع وماكر هذا الشاب.

وجدت صورته على الشاشة وكأن الحياة عادت من جديد لقلبي فرحت جدًّا لم أستطع أن أخفي فرحتي عن العم كنت منتبهة جدًّا لصوته وملامحه. كان العم يتابعني من بعيد بنظراته وهو مبتسمٌ حتى قال: من المستحيل ما يحدث؟ هل فتاة من عالم آخر تحب رجلا مختلفا في كل شيء عنها في الصوت والشكل

والعالم الذي يعيشه؟ لا تتسرعِ يا جميلة الضريبة هنا مكلفة للغاية ثمنها روحك.

لم أنتبه لما يقوله العم كان تركيزي كله هو أن أنظر له كيف يتعامل في ساحة المحكمة وما طبيعة أسلوبه مع الناس.

صارم جدًّا يتحدث في حدود الجلسة لا يستخدم قلبه للتعاطف مع أي دموع للمتهمين قاعة المحكمة كل من بها مبهورٌ به كم كنت مبهورة به أيضا وكنت سعيدة أن تعرفت عليه.

عدت لأسأل العم: هل هذا أسلوبه داخل المحكمة فقط؟

-داخل المحكمة وخارجها لا يبتسم أبدًا ولا يتشارك الحديث مع أحد ومعي نمكث لنناقش قضية من قضاياه التي انتهت ويأخذ رأيي وأحيانا يأتي لأحكي له عن أمه وحبها له وأبيه.

ابتسمت ولم أنتبه لنفسي حين تذكرت معاملته لي وحين قال ماكو بأن السيد لا يهتم لأمر أحد وحين طلب من ماكو العناية بي وتذكرت ابتسامته وسخريته أحيانا مني نسيت غضبه كله في هذا الوقت.

لاحظ العم أن هناك شيئًا فقال: لقلبك الله يا جميلة.

-يا عم هل تنام هنا بتوقيت أهل البلدة؟

-لقد تعودت ستتعودين مع الوقت كان الأمر في البداية صعبا لكن تعودت ستعتادين لكن لو قدر لك العيش هنا.

-لماذا لم تعدْ لعالمك يا عمي؟

-سعيت بكل الطرق للبحث عن طريق العودة كانت تنتظرني عائلتي وحفيدتي الصغيرة لكن تم الكشف عن هويتي في اللحظات الأخيرة وبسبب ذلك تعرضت عائلة سيدك القاضي للسجن حتى الموت بتهمة التستر على غريب.

-هل مات أهل السيد بسبب حمايتك؟

-نعم كنت السبب في سجنهم حتى الموت والعقوبة شديدة في السجون هنا ومن يدخلها لا يخرج.

-إذن كيف سجنوا من كان يحميك ولم يسجنوك؟

-القصة طويلة يا جميلة هل لديك طاقة لتسمعيني مرت أعوام لم يطلب مني أحد التحدث نسيت الكلام كيف يكون حتى.

-أتمنى لو لديك وقت سأكون سعيدة بسماع القصص جدي يحكي لي القصص كثيرًا لهذا أحب كل الحكايات وأحبك لأنك تشبهه في الصور.

-لا بد أن جدك يحبك كثيرًا وتفتقدينه.

-أفتقده جدًّا وأيضا أحبه. ولم أخبر العم أن جدي قد توفي منذ أكثر من تسع سنوات.

-فلتحكِ لي يا عم عن حكايتك كلي آذان مصغية وماكرة لسماعك وضحكنا سويًا على كلمة ماكرة.

بدأ العم كلامه قائلًا: كنت طبيبًا مشهورًا في مدينتي وكانت قرية صغيرة لا يتخرج منها الأطباء إلا نادرًا فكان لي عيادة في القرية وأخرى في المدينة كان كل وقتي مخصص لعيادة المدينة دائمًا مزدحمة وأعود متأخرًا للبيت ويومان في الأسبوع كنت أزور عيادة القرية كنت طبيبًا باطنيا لكن في القرية كنت مكلفًا بأن أكون كل الأطباء في طبيب واحد لا يفهم أهل القرية أني لست مختصا في الولادة ولا العظام ولا المرارة ولا حصيات الكلى. كل هذا كان اختصاصي كنت أقرأ كثيرًا عن الأمراض وأستعين بصديق لي يزورني في العيادة حسب التخصصات التي أراها أمامي كان يضحك أصدقائي الأطباء على قلة حيلتي مع أهل القرية.

حتى مرضت حفيدتي الصغيرة وكنت مُهوَّسًا كما يقال بالتعلق بها والجميع يعرف أن رؤيتها تهون علي متاعب الأسبوع ومشاكل أهل القرية.

كنت ألعب معها كانت صغيرة ما يقارب سبع سنوات كانت تقول دائمًا: لو تحكي لي يا جدي قصة سأنام وكانت مشاكسة تفتعل كل المشاكل لنهتم بها وإن تأخرت يومًا في العودة تجلس على باب البيت تبكي وتنتظر عودتي كانت أياما. مضى الوقت بسرعة لا أعرف إن كانت تتذكرني أم لا وكم من الوقت مكثت على باب البيت تنتظر عودتي؟

-ما كان اسمها يا عم؟

طرقت أمي باب الغرفة فسمحت لها بالدخول وألقيت الدفتر في الدرج وأغلقته وسألتني أمي: ما سر استيقاظي باكرًا؟

-قلت لها: كنت أصلي الفجر وحاولت أن أبحث عن كتاب أقرأ فيه ليمضي الوقت وقلت لها اليوم سأخرج لتناول الإفطار مع أبي وإخوتي.

لم تصدق أمي ما أقوله فاحتضنتني وبكت وفتحت باب الغرفة وقالت: سيشرفنا على مائدة الإفطار اليوم حبيبة قلبي الغالية وفرح أبي وإخوتي وكأنه يوم زفافي فتحوا الأغاني ورقصوا في الصباح ولم يهتموا لأمر الجيران وقالت أمي: أخيرًا قد عاد الفرح لمنزلنا بكي أبي وإخوتي فور خروجي من الغرفة وجلست لتناول الطعام معهم وكان الاهتمام مبالَغًا فيه حقًّا.

أمي لم تتناول الطعام أخذت سجادة الصلاة وظلت تبكي وأخذ صوتها يعلو: لك الحمد والشكر يا رب ما خاب ظني بك أبدًا وهذا عهدي دائمًا معك كلما طلبت منك وجدت خير الإجابة.

حرص إخوتي على تدليلي بعناية حتى لا أعود للغرفة وأخي الذي يرفض الخروج معي قال: ما رأيك لو خرجنا اليوم كل الأماكن التي تحبينها وعرض على أبي فكرة الخروج للتسوق وشراء ما أحتاجه من ملابس وأختي أيضا قالت: إنها لي اليوم.

بكيت فرحًا كم تحكمت لعامين في مشاعر عائلة بأكملها وماذا حل بهم في غيابي لسنوات إن كان هذا حالهم وأنا معهم في عزلتي؟ لم يتغيروا كثيرا فقط في الملامح كبر أبي وأمي وإخوتي أيضا تغيرت ملامحهم ستة أعوام غيرت الكل لكن لم تتغير قلوب عائلتي أبدًا ما تمتلكه عائلتي من صفاء القلوب وحسن النوايا هون الكثير علي في العودة، كنت قد تعايشت مع فكرة أنهم نسوا أمري فقد مر الكثير لكن لم يتوقفوا أبدًا عن البحث وعدم فقدان الأمل بعودتي وخاصة أمي.

مكثنا نتحدث حتى صلاة العصر في غرفة أبي يلقون النكات والفوازير وضحكنا حتى استأذنتهم للنوم بغرفتي لساعتين عرض أبي علي النوم بجانبهم لكن رفضت وقلت: أنت تعلم اشتقت لغرفتي وسريري كثيرًا فلم يلح علي حين نظرت أمي له ليتركني على راحتي.

عدت وأخذت الدفتر من الدرج وأغلقت الباب بإحكام وصعدت على السرير وأسندت ظهري على الوسادة وفتحت الصفحة التي توقفت فيها عند سؤالي العم عن اسم حفيدته.

قال العم: حفيدتي لو كبرت ستكون مثلك اسمها جميل جدًّا كوجودها في قلبي وعقلي

قلت له: ما الاسم؟ وكأنه لغز يا عم؟

ضحك وقال: لا أبدًا اسمها:..

قاطعه صوت جرس الباب فاندهش قليلًا ثم قال: لم يزرني أحد منذ انتقلت إلى هنا غير القاضي الماكر سيدك. لا تخرجي من الغرفة مهما حدث حتى لو كان سيدك.

حاولت التلصص بأذني على من يتحدث للعم لم يكن هو ظننت أنه عاد ودبت الروح قلت ربما عرف مكاني وجاء ليأخذني لكن أصاب قلبي الإحباط حين قال العم: إنها إشارة من الدولة بتوقيف توزيع الأوراق ليلًا لأن حراس المدينة سيشددون الحراسة في الليل حتى الصباح وفّروا علي المزيد من الجهد. علامات الخيبة على وجهك، كنتِ تتوقعين أنه هو صحيح؟

-نعم توقعت أنه عاد للبحث عني؟

-قلتِ بأنه لا يحبك كيف سيعود للبحث عنك يا جميلة؟ لا أحد يبحث إلا عمن يحبه لا تنتظري من لا ينتظر رؤيتك إلا لو كنتِ تتوقعين أنه يسعى لرؤيتك هل تتوقعين ذلك؟

-لا لا أبدًا لم أتوقع ذلك فقط هو قال بأنه سيساعدني للعودة لمنزلي لهذا أنتظره.

-لو قال ذلك سيسعى للبحث عن طريقة ولو وجد فلتأخذيني معك ولو أن عائلتي ربما نسيت وجودي ولن تتقبله مرة أخرى.

كان النوم يشاكس عيني فاستأذنت العم بأني أريد النوم. أخذت معطفه وتكومت داخله ونمت حتى حل الصباح وسمعت صوت حراس المدينة يدور حول المنازل ناديت على العم ليساعدني للنزول من السرير ويناولني العكاز الذي صار قدمي الثالثة في غياب قدمي عن الحركة وعونا لي لقضاء حاجتي.

-صباح الخير يا جميلة هل نمتِ بشكل مريح؟

-منذ دخلت منزلك يا عم وأنام هنا وكأنه منزلي بدون كوابيس

أو أحلام أستيقظ منها فزعة.

-الحمد الله هذا يحسب لنا اذهبي واغسلي وجهك وتعالي لنتناول الفطور معًا قد طال مكوثك بالسرير حاولي التعود على الحركة أكثر كي تلتئم العظام تغلبي على الوجع. المزيد من الفاكهة وكوب لبن تذكرتك الآن ومن قال إني نسيتك أصلًا!؟

لا حاجة لي بإخبار العم بما أفكر فيه فقد أبدو له حمقاء مراهقة متعلقة برجل دولة لا يهتم لأمري وربما إعجابي قد زاد عن حده. حاولت تناول الفاكهة وكوب اللبن ولم أتفوه بكلمة مع العم حتى قال: ماذا تحبين إخباري به وامتنعتِ عنه؟

-كيف عرفت أني امتنعت عن قول شيء؟

-إننا من نفس العالم وإني رجل كبير في السن خبرة في فهم من يجلس معي من عيونه.

-لا شيء هام متى ستكمل لي حكايتك؟

-لدي عمل بالمكتبة حين ينتهي بعد الغداء سنكمل حديثنا.

-أين تقع مكتبتك يا عم؟

-إنها في الدور الأرضي من هذا المنزل لكن لو كنتِ تفكرين في النزول معي فهذا محال؛ يتردد أهل البلدة كثيرًا علي ولديهم جهاز استشعار عالي الكفاءة في أعينهم وأظن رأيتِ عين السيد وتعرفين.

-هل الصوت الذي يصدر من عينه هو من جهاز الاستشعار؟

-نعم لكن صوت عينه مختلف لأنه ورث من أمه التعرف على مشاعر من حوله من صدق أو كذب لا بد أن أحتفظ بك خوفًا عليك فقد وجدك لا تعرفين شيئًا ولست ماكرة. صحيح أعتذر لك يا جميلة ما هو اسمك؟

نادِني بجميلة أفضل كما أناديك بالعم.

ضحك وقال: أتيت عالمنا بمكرك أم تعلمتِ المكر منه؟

-الأسماء ليست مهمة القلوب أهم. لهذا كتبتَ في الصفحة الأولى من الدفتر أن الوطن هو القلب. صحيح ما حكاية إيمانكَ بالقلب لهذا الحد؟

-كما تؤمنين أنه سيعود للبحث عنك بقلبك، أرى القلب وطنا لنا حين نضيع من الوطن. سنكمل حديثنا بعد عودتي انتبهي لحركتك وعودي للغرفة وشاهدي حلقاته المسجلة لعلها تخفف من تلهف قلبك لعودته إن لم تكن تزيد الأمل من انتظار وجوده. في رعاية الله.

لم أرد على العم هل يظهر علي أني أنتظره؟!! لم أتفوه في الصباح بكلمة عن انتظاره.

هذا الرجل حقًّا هو الماكر الأكبر في هذا العالم كيف عرف ما يدور بخيالي؟

تناولت الدواء وعدت أتحسس المعطف كأعمى يبحث عن طريق ممهد للحركة كان المعطف طريقي للصبر على غيابك وأشم رائحته كنت أشتاقه جدًّا ولكن لم أعلم في هذا التوقيت أن قلبي قد وقع في الفخ وأحببت رجلًا لا أعرف أي شيء عن حياته وعالمه حتى اسمه لا أعرفه ومن يومين فقط قد عرفت عمله ما الحل مع هذا القلب المجنون؟

قضيت اليوم أشاهد حلقاته المسجلة تابعت أكثر من خمس حلقات وكنت في كل مرة مبهورة به وبذكائه وبالتكريمات التي حصل عليها من الدولة كان يبدو في كل احتفال غير مهتم بالتكريم ولا يتفاخر به ولا الغرور من طبعه كيف تكونت شخصيته بتلك الحدة المفرطة؟! كيف يعيش بلا مشاعر كل هذه السنوات؟

عاد العم العجوز ودخل البيت وضع الكثير من الورق والكتب وقال: كيف حالك؟ كان يوما شاقا حاولت إحضار لك الأوراق لا بد أن دفترك هناك وسيتم إعدامه فور حصول الحراس عليه لو كان تم كشف أمرك فالمنزل سيتم تجريده من كل مهامه وسيلقى مصير عائلته.

كانت كلمات العم كالرصاص المغلي يدخل أذني دعوت الله كثيرًا ألا يتم اكتشاف أمر الدفتر حتى لا يصيبه مكروهٌ بسببي حتى إني نسيت آخر مرة أين تركت الدفتر هل في غرفة المكتب أم النوم؟

سألت العم لو بإمكانه الذهاب لبيته للبحث عن الدفتر.

قال: إنهم سيشكون في الأمر ولا حاجة لإثارة الشكوك سيحل الأمر لا تقلقي عليه إنه ماكر يستطيع الخروج من أصعب القضايا فهل تهزمه قضية دفتر برأيك؟

كنت قلقة جدًّا عليه لم أنم بشكل جيد لأيام بعد هذا الحوار أخذت الورق من العم وكتبت له الرسائل حتى لو صار لي شيئًا يقرأها ليعرف مدى قلقي عليه وإن لم أنوِ التسبب له في أي متاعب والله لم أقصد أبدًا.

أخذت القلم والورق وكتبت: سيدي أفتقد وجودك ورائحة خشب الصندل سامحني لقد سرقت معطفك للتخفي والحمد لله أني سرقتُه، هو من يمنحني الصبر على غيابك وإنقاذ العجوز لي معجزة وماكو لم يقصر أبدًا في العناية بي لكن رحلت من شباك الغرفة أعرف أنه تهور وأتمنى ألا يثير غضبك ما فعلته لكن من شدة خوفي وتوتري من قدوم الحراس نسيت إحضار دفتري ولا أتذكر أين وضعته ربما تقرأ رسائلي حين يتم كشف أمري أو أمر

العم العجوز أرجوك لا تغضب مني.. ليتك هنا أفتقد قلبي بغيابك.. صغيرتك المزعجة سلمى.

لا أعرف ماذا كتبتُ، كلها كلمات خرجت من قلبي بكل صدق وددت لو ختمتها بكلمة أحبك حقًّا لكن عقلي لم يسمح لي بهذا الهراء أي حب لم يحدث شيء لقول هذه الكلمة الحب أكبر من ذلك.

صارت الأيام مملة لم أتناول الطعام رغم إلحاح العم علي كنت أتناول قطع الفاكهة في الليل والماء حتى يقاوم جسدي الأدوية كان قلقي عليه يزداد.

حاول العم التخفيف عني لكن لم يكن لدي شيء يخفف سوى وجوده بأسرع وقت.

مكث العم معي في الغرفة وقال: حالك لم يعد يعجبني كنت نشيطة في أول وجودك هنا ماذا يحدث لك؟ تحدثي معي، الصمت سيؤخر مفعول الدواء ويُطيل قلة الحركة أعلم أنك تشعرين بالقلق لكنه لم يتأخر أحيانا يمكث لشهور ولم يمر إلا شهر واحد وإن كان تم كشف أمر دفترك لعلمنا في نشرة الأخبار لكن للآن لم يتم الكشف عن أي أخبار جديدة حتى تطمئني تم الانتهاء من تفتيش بيته اليوم ولم يكتشف شيء وستعود الكهرباء على الأرجح في المساء وسيتواصل مع ماكو لا تقلقي.

حاول العم بكلماته التخفيف عني لا أعرف هل أصدقه أم لا حتى سمعنا صوت جرس الباب فقال: الحراس لا بد أنهم جاءوا برسالة لعودة نشر الأوراق في مواعيدها.

تأخر العم كثيرًا حتى ظننت أنهم قبضوا عليه أو حدث له شيء.

لا حيلة لدي هذه المرة قدمي لم تتعافى كليًّا بعد وكتفي ما زال يؤلمني لكن رقبتي تحسنت جدًّا وما فائدة تحسنها في الهروب؟

حتى دخل العم البيت وسمعته يتحدث مع شخص، لم أحدد الصوت في أول الأمر حتى سمعت الحوار الذي يدور:

-ما الذي جاء بك باكرًا عن كل مرة هل حدث شيء في عملك؟

-لا أبدًا قطعت العمل للعودة للتحقيق في القضية التي تؤرق المدينة هذه الفترة.

سأله العم:

-ومتى عرفت بشأن القضية؟

قال:

-ليلة أمس، أنا منزعج جدًّا كيف لغريب أن يدخل هذه المدينة؟! لن أرحمه حتى الموت.

كلماته كسرت قلبي دون تعمد منه أعرف لكن كيف يتحدث عني بهذا الشكل؟ هل حقًّا سيحاول البحث عني ليظهر نفسه كبطل مناضل يدافع عن بلده ويتغلب على أي غريب؟

هل سيسلمني العجوز له؟

توقفت في مكاني وحاولت الجلوس على السرير باكية وكتمت صوت الدموع بيدي كان صحيحا قول العم: لا تنتظري من لا ينتظرك.

قال له العم: هذا الغريب لا تتردد في قتله إن وجدته، أحسنت لكن لمَ تشغلك قضية بهذا الشكل كانت حدثت قبل مدة ولم تهتم حتى كنت متأكدا أنها مجرد إشاعة لزعزعة استقرار المدينة؟! وما دليلك هذه المرة؟

لم يرد على العجوز وقال: أنا متعب جدًّا وسأعود للمنزل الآن وغدًا نتحدث في هذا الأمر أعرف أنك فقط تستطيع مساعدتي في العثور عليها.

سأله العجوز: هل هي أنثى؟

صمت قليلًا وقال: لا أعرف ما نوع البشري الموجود هنا.

سأله العجوز ثانية: إن كنت تخفي علي شيئًا أخبرني قبل أن ينتهي الوقت هل البشري موجود هنا منذ زمن؟

قال: ماكو يقول بأنه في البلدة لكن لا يستطيع تحديد موقعه بالضبط.

غادر منزل العجوز وهو مضطرب ويحاول التحكم في انفعاله وسرعة تنفسه لكن العجوز دخل الغرفة ضاحكًا وقال: يتلهف قلبه عليك وينكر ذلك ويتلهف قلبك وتبكين الآن من منكم يملك المكر الأكبر؟

بغضب قلت له: لا أحد ماكر هنا سواك.

وألقيت بالمعطف على الأرض وقلت له: حين يعود غدًا سلمه له وأخبره أنك وجدته مرميا في حديقته.

ضحك العجوز وقال: إنه بخير لا تقلقي سيعود في الصباح طالبًا العون. أستطيع بأجهزتي الصغيرة مساعدته للحصول على البشري لكنه يظن أنه سيحصل عليك الليلة بمجهوده هو وماكو. لن يتوقع ماكو وجودك هنا. هذا المنزل لم يسجل بعدُ على موقع خرائط العقل الصناعي لماكو، نامي براحة قد عاد قلبك مكانه رغم غضبك. أمور تافهة تحل باللقاء.

أخذ العجوز المعطف، غبي، ليته تركه كنت غاضبة لكن لن أسمح له بأخذ المعطف، ناديت عليه يا عم.

قال: المعطف ها هو لن آخذه لا تقلقي.

شعرت بالإحراج فقلت: لا أريده احتفظ به أنت لكن لا تسلمه له من فضلك.

تركه بجانبي وقال: سلميه بنفسك حين يعثر عليك.

لم أنم بشكل جيد. انتظرت قدوم الصباح حتى يأتي تناولنا الفطور أنا والعجوز وكنت أتناول الطعام بسرعة كان يبتسم العجوز ويتمتم بكلمات لا أفهمها والطعام في فمه.

قلت له: كيف مر الليل عليه؟

قال: كما مر عليك تمامًا وربما أصعب سيظهر اليوم كل شيء. إنه في عطلة وسيطول وجوده هنا لساعات سأترك لك الغداء بالداخل والفاكهة حتى لا تشعري بالجوع وإن كنت تريدين الخروج لمواجهته فهذا أفضل.

-لا لن أخرج ولن أقابله مهما حدث حتى لو تم كشف أمري واضطُررتُ لمغادرة منزلك لن أسمح له بوجودي إنه غير مهتم إلا بسمعته وشرف عدالته ومهنته فقط.

-من الواضح جدًّا أن مستقبلكم مهدد بالتضحية بروح شخص من أجل الآخر. توقفي عن الكلام الذي لا معنى له تتحدثين بالتفاهات فقط.

أدخل العجوز الكتب للغرفة والفاكهة والماء والأوراق والقلم وقال: أعلم أن لا حاجة لك بها لكن ستحاولين التنصت على الكلام ولن أبتعد كثيرا عن الغرفة لا تقلقي حتى لا ترهقي بالوقوف لكن فكري قبل التسرع بأي رد فعل إن قفزت من الشباك هنا فلن تعيشي أصلًا. وضعت على الأرض جهازا حتى لا يشعر بوجودك، لك مطلق الحرية في غلق الجهاز أو تركه يعمل. إن عينه كرادار

سريع لن تكف عن الشعور بك قلبه ينازع أفكاره كان الله في عونه.

سمع جرس المنزل فأغلق باب الغرفة وخرج فسمعت صوته يقول: صباح الخير أيها العجوز لم أنم منذ ليلة أمس كانت ليلة صعبة في البحث.

قال له: اجلس أولًا سأقوم بصناعة كوبا من القهوة لك حتى نستطيع الحديث.

قاطع العجوزَ وقال: لن أتناول الطعام حتى أجدها عقلي مشغول عليها لا أعرف ما بي، كل أجهزة جسدي تتآمر علي.

قال العجوز الماكر: إذن هي أنثى وتعرفها؟

قال: الموضوع كبير وبدأ يحكي للعجوز عن كيف وجدني. فقال: في يوم كنت أحاول الحفر في تربة الحديقة للحصول على البذور التي اشتريتها ولسنوات لم تنمو فلم أجدها في التربة كنت منشغلا بأمر اختفاء البذور حتى في المساء وجدت مكان البذور حركة فحاولت الحفر وجدتها تتنفس لكن لا يتحرك منها سوى أصابع يدها اليمنى فأخذتها في كيس الزرع الأسود وحملتها وربطتها بأسلاك الآلي الجديد الذي أعمل على صنعه على الكرسي كانت رائحتها غريبة لم أحبها على الإطلاق. عفنة جدًّا لكن لاحقًّا اكتشفت أنها تضع رائحة الفل التي أكرهها ولم أكن أعرف ما اسمها حتى حصلت على بذور الفل وبدأت زراعتها في الحديقة هل تصدق لو قلت لك: صارت الرائحة المفضلة لي هي رائحة الفل لكن كنت قاسيًا كعادتي عليها.

كانت دموعي تنزل بعد كلامه عني فكرت أن أخرج لرؤيته لكن حين قاطعه العجوز قائلًا: هل أحببتها؟

قال: ومن يحب حمقاء مثلها مزعجة تفتعل المشاكل في وقت

نومي؟! إنها غريبة جدًّا مكثت ليلة كاملة أعتني بها وانفعلت على لأن بشرتها من الحمي قد تغير لونها. تردد دائمًا: أريد العودة لأمي. طفلة صغيرة. قال ماكو إنها قوية جدًّا وذكية لكن فور غيابي أصابها الخوف الشديد وكانت تسأل عني كثيرًا أنا حقًّا أخاف أن يكون أصابها مكروه هي لا تعرف أحدًا هنا ومن سيجدها سيسلمها للعدالة. أنا بحاجة لاستخدام أجهزتك لنعثر عليها قبل أن يعثر عليها الآخرون لا يتوقف عقلي عن التفكير بها وعن حالها وكيف قفزت من الشباك إنها جبانة تخاف من جرح صغير كيف تهورت لهذا الحد؟ السبب كان أنا، أعلم.

انفعل وحاول العجوز تهدئته لكن كالعادة حين ينفعل يكسر أشياء حوله، فسمعت صوت الكسر فقلت لنفسي: لن يهدأ حتى يفرغ عصبيته كاملة على العجوز.

وقال: وحتى إن لم أجدها فلا يهم إنها لا تعنيني غبية ارتحت من أمر وجودها كان مشقة لي.

بكلمات رفع قلبي ليحلق في السماء ثم عاد ليسقطه أرضًا بلا رحمة. غبي أبله معتوه كنت سأخرج ليهدأ لكن لا حاجة لي برؤيتك حاولت النوم متجاهلة وجوده لكن خفقان قلبي لم يرحمني. نزلت من على السرير مرة أخرى وقفت أسمع من وراء الباب باقي حديثه مع العجوز قال: ستكذب شعوري لو قلت لك أشعر بوجودها هنا لكن مجرد شعور ربما من كثرة التفكير بها والقلق عليها، لا يهم، نعم لا يهم، ما يحدث سوف يحدث حتى لو تدخلنا لو مقدر لها النجاة ستكون بخير لكن لا مفر لن تعود لعالمها لقد بحثت كثيرًا في مقر الدولة الرئيسي عن طريقة فلم أجد لكن لن أتوقف عن البحث لا بد أن تعود لعائلتها ما الحب الذي تحدثت عنه؟ أنا لا

أعرف سوى الحب لأمي ولن أحب غيرها.

فخرجت حاملة معطفه بعنف وفتحت باب الغرفة وظهرت أمامه وألقيت بالمعطف على الأرض وقلت له: شخص كاذب وأكرهك جدًّا إن كنت لا تهتم لأمري وتكرهني لهذا الحد لمَ تبحث عني تريد إثبات أنك قاضٍ عادل واستطعت تخليص بلدك من عدو مثلي؟

نظر بعينيه الحادة لعيني ثم صوت حركة الجفن كان يزداد قائلًا: أنتِ هنا؟

سمعت أمي تقول: سأطمئن عليها وأعود. تكومت في الفراش وأغلقت الدفتر وكالعادة ادعيت أني نائمة. دخلت أمي وقبلتني وقالت: فليرعاك الله ابنتي وتعودي سالمة لحياتك ويرد الغائب إن كان موجودا ويعافيكِ من كل مرض. وخرجت وأغلقت نور الغرفة والباب.

كيف سأقرأ الآن يا أمي لم يكن لدي مفر الآن غير النوم ورحت في النوم حتى استيقظت باكية أصرخ وأنادي عليك أين أنت؟ أنت تخليت عني أنت كاذب؟

فتحت أمي باب الغرفة وجاءت هي وإخوتي أخذت تقرأ القرآن وتستعيذ بالله من الشيطان.

قلت لها: حلمت بعودتك تمنيت لو كان الحلم حقيقة.

كانت كلمات أمي خير المعين على الصبر حيث قالت: هذه إشارة من الله أنه سيعود قريبًا.

فتحت نور الغرفة وسورة البقرة وقالت: قرآن الله خير حافظٍ لك من كل شر وقالت: سأنام معك الليلة وسهرت الليلة معي ضحكنا على ذكريات طفولتي ونمت كالطفلة الصغيرة في حضن

أمها والتي تخاف من الدنيا كلها وفقدت لعبتها المفضلة وتواسيها أمها بأنها ستبحث عنها في الصباح وستجدها كنت أنظر لها باكية: أمي هل سيعود؟

كانت تضمني بقوة: سيعود لا بد أنه يبحث عن الطريق لهنا لا تفقدي الأمل بعودته.

تكومت في حضن أمي كما كنت أتكوم بمعطفك ونمت حتى حل الصباح صليت الفجر مع أمي وطلبت منها تركي بمفردي وأخذت الدفتر خير الأنيس في غيابك والصاحب الذي يصبرني على عدم رؤيتك.

كنت قد توقفت عند عصبيتي المفرطة عليك حين ألقيت المعطف على الأرض وقلت إني أكرهك.

كنت أترقب رد فعلك وأنا أتكلم بعصبية لم أركز جيدًا بما قلته لكن العجوز كان يلوح لي بيده لأصمت حتى استدار برأسه بسرعة وقال للعجوز: هل تبدو حبيبتي مجنونة على غيابي؟

ثم سحبني من يدي بقوة وجدتني داخل حضنه كالسمكة داخل البحر هذا الرجل طويل جدًّا كنت صغيرة الحجم بجانبه حملني حتى تعلقت ممسكة برقبته لم أخنقه بل وضعت رأسي على رأسه وحاوط يدي بيده وقال: كنت أموت في غيابك من الاشتياق ماذا فعلتِ يا مزعجة بمشاعري لم أشعر بوجع كتفي المصاب؟

ضحك العجوز وقال: اللعنة عليك يابني قد وقعت في فخها لا محالة سنهلك جميعًا وتسألني ما الحب؟

كنت سعيدة جدًّا في هذه اللحظة ومن هنا توقفت فكرتي عن البحث عن طريق العودة.

شعرت بمدى حبي له حين احتضنني بقوة وأخذ يردد: من يكرهني؟ إذن حبيبتي تقول بأنها تكرهني أستحق ذلك لقد تأخرت بالرجوع ما كان ذنبي سامحيني ماكو مجرد جهاز غبي لكنه أول مرة يتعرض لهذه الأحداث.

من شدة فرحتي كانت نبضات قلبي سريعة قال بصوت خافت: يدق قلبك حبا تحاولين الكذب علي. سحبتك لمكانك الجديد الذي كان ينتظرك طوال حياتي لم يهدأ رأسي من الصداع إلا حين لمسته يدك.

حاولت النزول والخروج من حضنه كانت قبضته محكمة قوية قال: لن أسمح لك بالرحيل كم يومًا لم أرك وكم ليلة مرت من دونك وكم ساعة فكرت بك؟

اللعنة على عملي وعلى هذا العجوز الغبي تلاعب بي وهو يعرف أني مشغول بأمرك.

ضحك العجوز وقال: لا تحاسبني أنت من أخفيت الأمر أولًا كنت أود لو أنها لم تخرج من الغرفة الآن حتى تلاوعك رأسك ويؤلمك قلبك قليلًا لترى أنك مهتم لأمرها.

-منذ أول مرة عثرت عليها وأنا مهتم لأمرها وهي أصبحت كل حالي وتفكيري.

أنزلني برفق على الكرسي وقال: الآن تحاولين أن تقتربي من مكانك قلبي هنا بيننا مسافة كرسي ونصف ما رأيك إن حاولت عناقي أن تصعدي للكرسي؟

وجد خدوشا على وجهي وقدمي ملفوفة بقماش أبيض محكم الربط فنظر للعجوز وقال: ماذا حدث لها؟

قال: هاربة من بيت حبيبها من شباك غرفته تكسرت كما ترى.

هي الآن بخير عانت لشهر ونصف من الكسور.

تركني وحمل المعطف من على الأرض ووضعه على كتفي وقال: اجلسي يا صغيرتي المزعجة. لقد هدأ قلبي الآن، لدي حديث مع العجوز عودي للغرفة.

نظرت له ولم أتحرك من مكاني.

قال العجوز: لن تتحرك من مكانها إنها لا تتوقف عن القلق والسؤال عنك وأنت هنا أمامها هل هي غبية لتتركك؟!

نظر مبتسمًا لوجهي فقال العجوز: الآن تعرف كيف تبتسم.

قلت لنفسي: القضايا جعلته ينسى مشاعره ولكن جاءت من جددتها بقوة.

-تختل حساباتك. يا بني اعلم أنك ستنهار إن استسلمت ولن تتحمل أذيتها.

قاطع العجوز بسرعة قائلًا: لن يجرؤ أحد على أذيتها ما دمت على قيد الحياة إنها روحي ومن يقترب منها سأفنيه من على الكوكب كله.

قال العم العجوز: عليك أن تهدأ وتفكر بعناية لا تتسرع فتخسرَها وتخسر كل شيء.

نزل على الأرض على ركبتيه ووضع يده على وجهي قائلًا: أنا هنا بجانبك أقسم بالعدالة وبعملي وبكل ما أملك لن أتركك مجددًا لن تضيعي مني تلقيت خبر غيابك كالمجنون أنا هنا لا تخافي.

ونزلت دموعه فبكيت على بكاء عينيه فقد توقفت جفونه عن الحركة بصوت في أثناء البكاء مددت يدي لأمسح دموعه فابتسم وقال: كنت قد نسيت أن لي دموعا ومشاعر عادت بسببك.

أمسك يدي وقبّلها وقال: يدك الصغيرة جميلة هي من أشارت لي من تحت التراب لإنقاذك كانت تعقد صفقة حب معي من أول نظرة ولم أعرف. أنتِ صغيرة كيف تحبين رجلا غبيا مثلي لا شكل له أظن الرجال في عالمك أحلى مني؟

لم أتفوه بكلمة عقلي لم يتأكد بعد إن كان حلمًا أم حقيقة هل عاد حقًّا هل حملني بين ذراعيه وقال: أحبك؟ هل يحبني حقًّا؟

وصلني اتصال ريم صديقتي فأغلقت الدفتر وأجبت على الاتصال: مرحبًا ريم كيف حالك؟

بخير طمئنيني عن أحوالك حلمت ليلة أمس أنك تبكين من الفرحة لعودته يشعر قلبي أنه سيعود للبحث عنك.

فرحت باتصالها هذه المرة جدد لي كل ما بداخلي قالت: أعلم أنك تعرضت لمعاناة أكبر منذ الرجوع لم يرحمك كلام الناس ولا ترددك على الأطباء والمكوث في المستشفى لشهور صدقيني ستعوضك لحظة لقائه عن كل ذلك.

-ريم، لقد كان يقول دائمًا: إنه لا قدرة لديه على فقدي ترين ما حاله الآن؟

-كل ما أريد منك فعله يا سلمى هو العودة لحياتك لا تدعي كلام الناس يسيطر على مزاج عائلتك أكثر من ذلك الجميع ينتظر منك رد فعل إثر كل الأحداث والشائعات التي تتردد على غيابك مجتمعنا لا يرحم الأنثى ولا يهتم مع من كانت وكيف عاشت وكم تحملت من خوف وألم.

-قالوا عني إني قد هربت مع رجل أحبه، معهم حق لكن الأصح قد هربت حتى أحب شخصًا ليس عاديا ودائمًا ما كنت أخبرك أني أفقد الأمل في حب الرجال هنا، لا تعجبني حياتهم ولا

أفكارهم. الأنثى بالنسبة لهم مجرد آلة تتزوج لتنجب وتربي وتعيش تلبي رغبات الرجل ومسموح له بخيانتها والكذب عليها وعليها أن تستمر من أجل أولادها رغم أن هناك نساء قويات يتمردن على هذه الحياة لكن في النهاية يدفع الأبناء ثمن الزواج الفاشل هذا في عيادات الطب النفسي أو في ممارسة سلطتهم في الانتقام في كل من يقابلهم والتسرع ما عاد مقياسا حتى التفاهم والحب لم يعدا يجلبان نجاحا للعلاقات، صار نجاح العلاقات صدفا وحظوظا، حتى وجدته.

قاطعتني ريم قائلة: إذن ابحثي عن طريقة للعودة لعالمه ولتأخذيني معك لو كان الحب يختلف عن هنا فحياتنا كلها رجال ملوثون بكلمة الشرف وفق عاداتهم وتقاليدهم عن أي شرف يتحدثون؟ القضية لم تعد قضية شرف بل قضية تجارة. الرجل يرى نفسه فيها المنتصر دائمًا ينفصل عن واحدة وفي الصباح يتزوج من غيرها. هل تتذكرين كم مرة قال لك كلمة أحبك؟

ضحكت لأن ريم ذكرتني بجملته الشهيرة: في غفلة عن مسامع العالم كله أحبك سلمى.

قلت لها: لا أتذكر كم مرة قالها لكن شعرت بها أكثر من ألف مرة في الدقيقة. أعرف على وجه اليقين أنني أريد رؤيته وأرفض العيش هنا كما كنت أرفض العيش هناك في أول الأمر قبل أن يعترف بحبه لكن ما الذي يمكنني الإسهام به اليوم لأقترب من طريق عالمه؟

قاطعتني ريم. لا بد أنها لا تعرف كيف تساعدني لكن تهون كلماتها الكثير: سلمى احكي لي كيف تقبلتِ العيش مع فكرة أنه شخص مختلف عنا في شكله وصوته وحركة عيونه أتذكر حين

أخبرتني أول مرة عند زيارتي لك في المستشفى عن أن حركة جفن عينه تصدر صوتا كنت قد ذهلت من كلامك وفي البداية ظننت أنك تعانين من الهلاوس أو قد جننت على الأغلب.

ضحكنا في صوت واحد. لو كنت مكان ريم لفكرت نفس تفكيرها.

-ريم، كان يقول: إنه ما زال في قلبه متسع للحب والعطاء والتغيير من أجلي، دعك من هذا، إن شكله ليس مرعبا كما تتصورين لكن طول قامته مزعج قليلًا لن يستطيع الوقوف في منزلنا لأن رأسه ستقترب جدًّا من سقف المنزل.

ضحكت وقالت: مؤكدًا هو عفريت لا تنكري ذلك.

-وهل سبق ورأيت عفريتا يا ريم؟

-الآن أسمع عن تفاصيل شكله منك.

ضحكنا وقلت لها: نكمل الحديث في وقت لاحق النوم يلاحقني لا بد أن المهدئات سيطرت على عقلي بالكامل ليهرب في النوم أحتاج مراجعة الطبيب لتخفيف الجرعة.

قالت: قبل أن أغلق الخط عليك أن تكوني طبيعية في الزيارة القادمة للطبيب حتى يشعر أنك بخير. حين تواصلت أمس معه قال إن حالتك بحاجة للبقاء في المستشفى مرة أخرى وأعرف أنك تعانين في المستشفى كثيرًا ولا يسمح لنا بزيارتك وحتى لا يسمح لي بقول هذا لكن المزيد من القوة يتطلب التخلي عن التفكير به ولو لوقت قصير في أثناء زيارتك للطبيب تذكري كلامي خائفة عليك.

-حسنًا سأفعلها.

أغلقت الخط.

كيف سأتوقف عن التفكير فيك؟ كنت تقول إنني لو غادرت لأي عالم ستشعر بي وستنقذني في الوقت الذي أحتاجك فيه.

مر عامان ولم تشعر بي وكيف مرت الأيام علي وكيف تحملت البقاء في المستشفى وتناول أدوية ومسكنات من شدة الألم وتعرضت لصدمات كهربائية كي أتوقف عن تخيلك؟ كنت قد هلكت تمامًا كنت بحاجة لكلمة واحدة فقط منك قد تغير العالم لا يهم العالم كانت ستغيرعالمي أنا فقط، لم توقفني كلماتهم المحبطة والمؤلمة عن غيابي معك لقد تعلمت منك أنه كلما كانت الحياة من حولي ضاغطة وثورتها لا تهدأ فسنتمكن من التواصل بشكل جيد وبهدوء لا مثيل له في وسط الكوارث.

طاحت بي الكوارث في الأرض كلها في عامين حتى أيقنت أنني ومشاعري عديمو الجدوى ولسنا مهمين لك على الإطلاق.

كل الآمال مبالغ فيها والخيال بوجودك حتى محرمًا علي وتحت ضوضاء العزلة الصامتة أفتقدك قلت إن فتاة مثلي دفعتك لحب عالم لا تعرف عنه شيئًا سوى أن من به أعداء لك ولعالمك لكنك تحب كل ما أحبه ما حل بكلماتك المعسولة أكانت أوهاما تمهد بها لرحيلي منك؟

ما شعرت بالسيل الدافئ من عيني غير اليوم كان دافئا جدًّا حتى ذكرني بسيل عينيك بارد جدًّا كيف تكون الدموع حتى قاسية عليك تهبط من عينك لتؤلمك. أكثر ما يخفف علي هو دفء دموعي تحتضن خدي في غيابك منذ فقدت احتضان يديك.

غسلت وجهي وعدت لأكمل القراءة في الدفتر كانت الصفحة مقطوعة حاولت تذكر لماذا قطعت الصفحة هل تشاجرنا يومها ولو تشاجرنا ما علاقة الصفحة بذلك هناك ورقة مفقودة لا بد أن

هناك شيئًا قد حدث لقطع هذه الورقة.

هل كتبت فيها شيئًا أغضبه وقطعها؟! لا أتذكر حقًّا أي شيء عن حكاية تلك الورقة انتقلت لما بعدها وجدت سطرا واحدا فقط وباقي الصفحة فارغة مكتوب: حسنًا لا داعي للورقة السابقة إنه يشعر بالغيرة ولن يتحمل وصفي لغيره.

ماذا قلت ليشعر بالغيرة هل وصفت له الرجال في عالمنا هل قلت إنهم أفضل منه؟

أغلقت الدفتر عازمة على تذكر ما حدث في هذا اليوم كان يوما سيئا من شدة التفكير تحكم بي الصداع حتى حل الليل ولم أستطع النوم تناولت المهدئات وغفوت.

في الصباح استيقظت وجدت أمي جانبي تنتظر استيقاظي لا بد أنها تمهد لقول شيء نظرت لي مبتسمة: صباح الخير يا غاليتي موعد الطبيب اليوم.

تصبب جبيني عرقًا وهزت أمي رأسها بالرفض لتوتري في حوار صامت بالأعين بيننا ومسحت بيدها على شعري لا تخافي أنا معك لن أتركك ابدًا وسنعود للبيت لن أسمح لهم بتركك في المستشفى.

لا أعتقد أن هناك قسوة تسعى لتفتيت مشاعرنا كالقسوة حين يختم القدر أن من تحب ليس مؤهلًا ليكون نصيبك، أرجوك إشارة واحدة أو كلمة أو حتى نقطة أو حتى إحساس أنك تشعر بي عانقتني الظنون السيئة وتسيطر علي الكوابيس وأنا مستيقظة. اليوم موعد الطبيب أين أنت بالله عليك؟

انتظار في عيادة الطبيب وعين الناس تلاحقني وأمي متوترة أفكر بالهروب والنجاة من أعينهم وحتى من نفسي من سمح لكم بالنظر لي بالشفقة؟! أنا بخير كل ما في الأمر أحتاج لشيء يجمعنى به ولعلاج يجعل الناس يصدقون ما أقوله.

لا حاجة لي بكل ذلك أنا حقًّا أحتاجه.

نادت الممرضة: الآنسة سلمى حان دورك تفضلي الطبيب ينتظرك.

دخلنا ورحب الطبيب بوجودي وقال: تحسنت ملامحك عن الكشف السابق هذا جيد كيف حالك؟

أريد تقليل جرعة المهدئات النوم يلاحقني والهبوط يسيطر على جسدي ولا أقوى على الحركة كثيرًا هل هناك حل أعتقد أني بخير الآن هل يسمح لي بالخروج وحدي كالسابق؟

ابتسم الطبيب كنت لا أحبه أبدًا لكن كان كأحد أفراد عائلتي يشعر بالقلق علي ويهتم لحالتي وكأني ابنته هذا ما يجعلني أتحمل زيارته في العيادة حتى لا تقلق أمي على حالي لا بد أن الطبيب فهم الحيلة الماكرة لي وأني أحاول إثبات أني بخير له.

قال: حسنًا لا حاجة لنا بالبقاء بالمستشفى سيلغي طلب تحويلك أنت بحال أفضل ويمكنك متابعة حياتك بشكل عادي وسنقلل تناول المهدئات وتناولي الطعام الصحي وخاصة الفاكهة والخضراوات بكثرة ليتحسن جسدك.

عدت للمنزل أشعر وكأن ثقل الأرض على كتفي قد سقط وأني عدت حرة بمهدئات أقل ويحق لي العيش كشخص عادي لا يعاني من أي أمراض نفسية.

أمي لم تبدُ سعيدة لكنها كانت تبتسم كلما نظرت لها كانت تعرف أني لم أتحسن بعد وكأنها تحدثت مع الطبيب قبل ذهابنا لم أنتبه للوضع كثيرًا المهم أن المهدئات ستكون أقل من السابق ولن يؤثر النوم على حالتي المزاجية كلما حاولت تذكر شيء أصابني الصداع وهربت للنوم كفرار الفأر من القط خوفًا من أن يلتهمه، كل ذكرياتنا كان عقلي فيها يبدو كالفأر يهرب حتى لا يصاب بالألم.

أفتقد شهيتي للقراءة في الدفتر اليوم وأتساءل باستمرار عن كيف ستمر حياتي من دونك؟ عامان قد انقضيا من عمري لا أثر يسجل لك فيهما سوى تذكر ذكرياتنا التي تشوهت لولا الدفتر يضع الذكريات في مكانها الصحيح.

الكل يرى أني أطارد الأشباح في غرفتي لم يهتم أحد بمشاعري والخوف من أن تكون فقط في خيالي بعد كل هذا وأن يكون لا وجود للدفتر وكلما حاولت أن أسأل أمي هل ترين ما هو مكتوب بالدفتر؟ كنت أشعر بالخوف أن تقول أن الدفتر فارغ فتنهار كل أفكاري وذكرياتي وأحلامي وصبري في انتظارك وسأتقبل وقتها قول الناس عني مجنونة.

وضعتني في ممر الخسارة لأتقبل كل هزائمي من دونك والقدر يصفعني على مدار عامين بأنك لن تعود لكن الدفتر يجعلني أجد ضالتي ويؤكد لي أن أستمر بانتظارك.

يوم جديد وشمس مشرقة والدفتر يلمع في عيني وشهية للقراءة بعد انقطاع لأيام تستقبل فيها أمي زيارات عائلية خالتي والجيران وأصحابي. كنت أحاول أن أبدو طبيعية وعدم الانتباه لنظرات الشفقة ومع ذلك كنت أريد قتلهم جميعًا نظراتهم تخنق روحي وأريد الصراخ: لست مجنونة بل أنتم المجانين.

ورقة مقطوعة ثم شعوره بالغيرة لأجد كتابات مختلفة وخطا لا يشبه خطي قرأت من السطر الثاني فقد كان السطر الأول ثلاث نقاط فقط لا أعرف مضمونها.

عزيزتي سلمى،

حنين الضمير يسألهم عنا وأزرار ملابسهم أغلقت للنهاية كتموا ألم غيابنا حتى لا يصفعهم ضميرهم تركونا في المنتصف عالقين بلا عودة نريد العودة لكن تم تبديل الطريق ليكون نهايته الألم، تذكري الوطن هو القلب لن يضيعنا حتى لو فقدنا كل شيء سنعود.

العم العجوز كان سعيدًا بقضائك كل هذا الوقت في بيته تنتقلين الآن مع هذا الرجل إنه طيب القلب وعصبي من أقل شيء، لكن يغفر له كل غضبه أنه أخبرني أنه لن يتخلى عنك وقد ختم بالدم على ورقة مكتوب فيها أنه مستعد للتخلي عن كل ما يملك مقابل البقاء بجانبك حتى الموت.

سأعود لزيارتك في أوقات العطلة. تحملي ما يصدر منه. إن إحساس الحب في هذا العالم لا يحدث كثيرًا.. فالحب هنا هو العمل والعقل وجديد عليه شعور القلب هذا، تقبلي تصرفاته القادمة وإن كنتِ بحاجة لأي استشارة اكتبيها في الأوراق التي جمعتها لك وحين آتي لزيارتك سنتناقش.

بكيت وأنا أقرأ هذه السطور إنه خط العم العجوز قفزت من فراشي بحركة جنونية وفتحت باب الغرفة وناديت على أمي. كانت في المطبخ قلت لها انظري لهذه الصفحة هل هي بيضاء؟

نظرت لي بخوف كانت تريد الإجابة وتخشى أن تكون الإجابة صادمة.

قلت لها: أمي لو كان في الصفحة كلام أريدك أن تقرأيه.

قد قرأت أمي الرسالة وقالت: من هذا العم العجوز؟ إن خطه جميل جدًّا.

قفزت في المكان من فرحتي: ألم أقل لكِ أنا بخير وقد تقابلت معهم؟ افحصي صفحات الدفتر الآن هل مكتوب بها أم فارغة؟

قالت: اجلسي بهدوء. فرط الحركة هذا خطر عليك الدفتر كله كتاباتك ولكن رسالة العجوز ليست خطك إنها ورقة تختلف عن الدفتر.

تذكرت في الحال كيف تم قطع الورقة وموقف الغيرة وشردت بالذهن وتذكرت أنه حين سألني عن الرجال في مدينتي قلت له: في الشكل هناك الأبيض والأسود والجميل الشكل والعادي والعيون الملونة والسوداء ومازحته بغمزة من العجوز. إنهم افضل منك في كل شيء لا ينفعلون بسرعة. وددت لو قلت له في هذا الوقت إنه أفضل رجال العالم في عيني.

وقتها غضب وقال: لم أطلب منك أن تحبيني من الأساس لك حريتك. واستأذن ليغادر منزل العجوز غاضبًا.

وتذكرت حين عدت للمنزل معه وكنت أدون وهو يقرأ قال: لا تسجلي لحظات الغيرة التي شعرت بها. الموقف يضايقني لكنه قد قطع الورقة دون علمي. ماكر يا سيدي هل رمى الورقة أم يحتفظ بها؟

قاطعت أمي شرود الذهن: نحن هنا يا سلمى أين ذهبتِ بخيالك؟

-لقد تذكرت أمي تذكرت.

وأخذت الدفتر منها.

-أنا سعيدة جدًّا أمي.

وذهبت لغرفتي قلبت الصفحة وأخذت أكمل القراءة بكل شغف فالذاكرة تعود ببطء لكن بأحداث سليمة لا تشويه فيها.

ضحكنا أنا والعجوز. حين غادر بغضب سألت العجوز: هل يشعر بالغيرة؟

قال: سيطرق الباب بعد قليل لن يهدأ قلب طفولي للرجال يابنتي يحتاج القليل من الملح والكثير من الصبر والتحمل.

سمعنا جرس الباب فضحكنا وأشار لي العجوز بالصمت حتى لا يثور علينا وهو لا يتحكم بأعصابه. فتح له العم العجوز الباب ودخل يشعر بالتوتر وتزداد حركة عينه والصوت يصدر نشازًا قال: عدت لأخبرك أن ماكو يشتاق لرؤيتك هل تعودين للبيت معي من أجل ماكو؟

ما استطعت كتم الضحك فضحكت ليضحك العجوز بصوت عالٍ ونظر لنا وغضب علينا وقال: لا حاجة لك بأن تأتي معي لا أحتاجك أنا وماكو نستطيع العيش بدونك كما كنا من قبل لا شيء سيتغير حتى لن نفتقدك.

وقبل أن يغلق الباب تمكنت من اللحاق به وأمسكت بطرف معطفه الذي يرتديه وصمت طارد قلوبنا نظر لي وقال: ما كنت سأغادر من دونك لتعلمي ذلك.

اقترح العجوز أن يتركني عنده الليلة لكنه لم يوافق ولم يهتم لأمر الحراس ولم يخش الخوف من مواجهة أي شيء طلب منه العجوز أن ينتظر حتى أعد لي الورق والكتب لأصحبها معي والمزيد من الدجاج والطعام الذي أحبه وكتب لي العجوز هذه الرسالة بورقة خارجية وعدنا للبيت متخفية في حقيبة كبيرة أخذها من

العجوز وحملني داخلها: يا صغيرة رحلة قصيرة لمنزلنا لا بد أنك تعودتِ على الاختباء للتنقل من مكان لآخر.

ذهبنا للبيت ولم يخرجني من الحقيبة واقتربت أنفاسه كنت أسمع ضربات قلبه: ماذا لو بقيت في الحقيبة حتى الصباح هل تشتاقين لبيتنا؟ وفتح الحقيبة ليخرجني منها ليرحب ماكو بعودتي: الشقية الصغيرة لقد عنفت من سيدي بسببك ولا بد أن غرفة المكتب بحاجة للعناية بها بل البيت كله فقد قام بتكسير كل ما أمامه حين عاد ولم يجدك.

سألته عن الدفتر فابتسم بمكر وقال: لم تخبريني بعد، هل اشتقت لي؟

كيف سأتمكن من الهرب من الإجابة صمت حل علي، ليضحك لأول مرة ضحكة أعادت الحياة بكاملها لقلبي وكأن قلبي وجد ضالته أخيرًا.

-تخجلين إذًن؟ هذا هو شعور الخجل الذي يكتب عنه العجوز في روايته، سنجرب الجديد من الأشياء معًا سنستمتع كثيرًا لكن علينا وضع تخطيط كيف ستمر ساعات عملي دون أن أراك؟ وكيف سيتحمل قلبي تركك بعد كل ما حدث؟ اجلسي لتحكي لي الليلة عن كل ما حدث في غيابي وكيف اصطحبك العجوز لمنزله وهل أحببت منزل العجوز والحديث معه؟

-ألم يخبرك بكل شيء؟

-أريد سماع نفس الكلمات منك فقط يخزن رأسي كل ما تتفوهين به.

-أوافق لكن بشرط أن تعطيني الدفتر؟

-هل يتجرأ شخص على فرض شروطه على رجل الدولة؟

وابتسم. اتبعيني للمكتب.

دخلنا المكتب الذي أصبح كومة من الكتب على الأرض والكرسي مكسور والأدراج أيضا وقال: دعينا نبحث هنا لا بد أن عصبيتي فاقت الحدود في تلك الليلة التي لم أجدك فيها.

كل شيء على الأرض يؤكد أنه قد جن عقله على غيابي كنت من داخلي سعيدة بكوني هامة في قلبه وأن قلقي كان متبادلا. لم تذهب دقات هذا القلب هباءً.

حصل على الدفتر أولًا ونزل على ركبتيه وقال: اصعدي الآن على ركبتي لتحصلي على الدفتر.

بحركات طفولية وقفت على ركبتيه لأحصل على الدفتر ليحصل على عناق مفاجئ ينتهي بحصولي على الدفتر وجملة: تحل كل شروطك بالعناق حبيبة هذا القلب احفظي هذا السر. وأشار بيده على قلبه وقال: إنها هنا لا تقلق نحن بخير اطمئن لا تؤرق فكري أكثر من ذلك.

كنت أعتبر الدفتر المولود الأول لنا والشاهد على قصة حبنا وأخذته لأكتب فيه كل ما قد مر

دفتري العزيز مرحبًا، لقد اعترف بحبه لي ولم أعترف بعد وأفكر كيف سأقولها له؟

اتفقنا على أن يذهب لعمله ويعود للبيت دون قضاء وقت في مكتب الدولة بعد العمل وأنه سيباشر العمل من مكتبه في المنزل.

كانت أياما من حلاوتها كانت تشبه السحر هل أضافت النجوم لنا بريقها أم يبارك القدر لي ولو لمرة السعادة؟، كنت أنتظر الوقت الذي يزورني فيه العم العجوز كثيرًا كنت أحكي له ما يحدث بيننا وكنت أخفي العناق عنه خجلًا لكنه كان يبتسم حين أشرد بذهني

قليلًا.

مرت الكثير من الشهور ينام في غرفة المكتب وأنام في غرفته لم يخبرني ولو لمرة أنه يريد النوم بجانبي ولم نتجاوز العناق أو قبلة الرأس، كان مشغولًا جدًّا وكثرت القضايا عليه وتجعلنا لا نلتقي في حديث طويل ومللت العيش هكذا وشكوت للعجوز حالي وكان يقول لي قلت لك الصبر تعرفين أنه يقع على عاتقه الكثير.

شعرت أن مقدار الحب بيننا يتناقص مع الوقت لا يهتم بتناول الطعام معي بعد ما كنا نضحك على الطبخ الذي ينتهي بحرق الطعام وكان يحاول تناوله ويقول: لم أتناول بحلاوة هذا الطعام المحروق طعاما من قبل.

وكنا ننزل للحديقة في الليل خلسة نقطف الأزهار ونتابع نمو البذور الجديدة التي زرعناها معًا ويحكي لي كل يوم قصة عن رجل هام أحب فتاة من كوكب آخر وفي كل مرة تنتهي القصة بنومي دون أن يكمل لي ما كانت النهاية.

لم أعد أتحمل العيش هكذا كان ماكو حتى مشغول بالبحث عن القضايا معه وغرفة النوم والصالة والغرف كنت أتنقل بينها بملل واكتشفت أن الغرف المغلقة تحمل أسلاكا وأجهزة إلكترونية يسعى للعمل عليها كثورة إلكترونية تجتاح عالمه ليساعده الآلي في كل شيء يحتاجه.

كان موهومًا بالتطلع لاكتشاف عوالم أخرى غير عالمه لم أزعجه أبدًا بالأفكار التي تطاردني للعودة لمنزلي واشتياقي لعائلتي حتى لا أحمله عبء التفكير بما يؤرقني.

كان العجوز يحاول أن يبقى معي وقتا أطول لكنه علم أني أفقد الحديث وأن هناك ثورة ملل ستنفجر بيننا قريبًا.

حكي لي العجوز عن حفيدته أنه ترك لها دفترًا يشبه هذا الدفتر لكن على شكل يوميات كتبها وهو طبيب في عيادته في مدينتنا لأنه كان يشعر أنه في خطر وأشياء تلاحقه وكوارث على وشك الحدوث وقال بأنه ترك دفتر يومياته في بيت قريب من مقابر عائلته هذا البيت يعود لعيادته القديمة يقول العم العجوز العيادة كلها صور لحفيدته الصغيرة قال لي إن اسمها نفس اسمي: سلمى. وأحب العجوز وجودي كما أحب حفيدته وقال: تمنيت لو كنت حفيدتي.

قلت له: لو عدت لعالمي سأبحث عن حفيدتك سجل لي العنوان إن كنت تتذكره.

قاطعني العجوز: هل تراودك أفكار للعودة؟

-مر الكثير وأنا أخفي الأمر حتى لا أزعجه، لكنه اعتاد وجودي ولم يعد هذا الحب الذي تمنيته. تختل أركان العلاقة كل يوم ركنا تلو ركن آخر وأخشى إزعاجه ورغم كل ذلك هو لا ينتبه لي. كنت طلبت منه البقاء لوقت أطول بالمنزل لكنه يقضيه بالعمل. في بداية معرفته كان يقضي معي وقتا أكثر من ذلك هل تعتقد أنه لم يعد يحبني؟

-الحب يزداد لكن العمل يتضاعف. قدّري ما يمر به يابنتي الجميلة وحاولي اختبار حبك لتتمكني من فهم حقيقة مشاعره.

قاطعت العجوز قائلة: أشك بحبه وأظن أنه يبحث عن اكتشاف عالمي والسفر له ليحصل على شهرة أوسع.

لا أعرف كيف خرجت هذه الكلمات مني فحذرني العجوز من أن اتفوه أمامه بذلك حتى لو جرح قلبه لن لا يلتئم أبدًا. وغادر العجوز لبيته وظل عقلي يسألني كيف سنختبر الحب؟

وحين عاد من عمله في هذا اليوم دخل ووضع الحقيبة وجلس على الكرسي وقال: أنا متعب حقًّا يا سلمى تناولي طعامك سأنام.

كنت غاضبة وزاد غضبي أكثر فقلت: لن أتناول شيئًا أريد العودة لعائلتي ومدينتي الآن.

وقعت الكلمات على مسمعه فتحرك من على الكرسي واختفى النوم من عينه ونظر لي متحدثًا: أعرف أني مقصر في الفترة الأخيرة والعمل يزداد ولم نبق كالسابق ونسهر معًا حتى الحديقة أعتني بها وحدي في الصباح وأنك هنا محبوسة في المنزل لا ترين أي شيء خارجه ولكن أسعى لفعل أي شيء لأواجه العالم بك.

الغضب أعمى عيني في تلك الليلة.

قال: أنا أريد البقاء بقربك.

-يكفي إلى هنا لا أتحمل العيش بهذه الطريقة كنت مخطئة حين تمسكت بالبقاء بجانبك لم يعد لدي في قلبي مشاعر تجاهك أريد العودة ولن أتخلى عن هذا القرار.

قاطعني وقال: أنت الآن غاضبة سنحل الأمر غدًا.

-لا سنحل كل شيء الآن.. أنا لم أعد أحبك.

أمسك بيدي بقوة وقال: تتجرأين فقط على قول كلمات الوجع والكره ولم تتفوهي مرة بأحبك وتحملت ولم أغضب أعرف أنك تسعين خلفي كما لو كنت الظل الملازم لك وأنك غاضبة لتقصيري لكن ما غفوت يومًا عنك كل عملي يدور في حل قضية عودتك وانهزامي من دونك يطاردني كيف سأتركك تمضين؟ هل وجدتِ شخصا في عالمك يسلم روحه بلا هروب من جسده وكأن الأمر عادي. غادري من وجهي الآن لم يعد بيننا حديث يستحق النقاش لا تشعرين بمشاعري وبما يحل بي كل ليلة وأنا أعلم أنك

تريدين العودة وتخفين الأمر علي. أسمع بكاء عينك الصامت كل ليلة ولا أستطيع التقرب للتخفيف عنك لا ألومك، من حقك العودة وسأسعى لو كلفني ذلك الموت لعودتك أمهليني بعض الوقت.

ودخل غرفة المكتب وأغلق الباب بالمفتاح عليه لأسقط على الأرض فجأة ليخرج مسرعًا يحملني ينادي: سلمى ما بك؟ لم أقصد أنا آسف سلمى رجاءً لا أتحمل أن يصيبك مكروه.

كنت أسمع صوته لكن لا قدرة لي على النطق، دوران مستمر أصاب رأسي حتى تلاشى كل شيء وغبت عن الوعي.

استيقظت كل شيء مشوش حولي: أين أنا؟ هل عدت للمنزل؟ هل كنت أحلم؟

لأسمع صوته: أنا هنا سلمى معك إنك في مستشفى الدولة لن يجرؤ أحد على أذيتك لا تخافي.

فتحت عيني لدقائق حتى استطعت الرؤية بشكل جيد، الكثير من الأجهزة حولي والعجوز وهو والممرضات نفس الطول وصوت حركات جفن أعينهم كيف يعيشون بهذا الصوت المزعج؟!

-ما الذي حدث لي؟

قال العجوز: لم تتناولي الطعام لأيام وتعمدتِ أن تقلقينا على صحتك أنتِ تتحكمين بقلبه ألم أقل لك؟

أمسك يدي وقبّل رأسي: إنها روحي ولا أتحمل أن يصيبها مكروه أبدًا لكنها لا تقتنع بكل هذا الحب ولا بكلامي.

-كيف دخلت المستشفى هنا؟

-غبتِ عن الوعي لساعات لم نتمكن من عمل شيء فشلت كل الحيل لم يكن لدي حل سوى المخاطرة بكل شيء مقابل أن

تعودي للوعي.

كل تفكيري تركز في كيف سيواجه قيادات دولته وما مقدار السخرية والحكم الذي سيتعرض له. لم يكن مهتما لكل ما أفكر به سوى أن أعود معه للمنزل بخير وصحة جيدة.

أنهى إجراءات خروجي من المستشفى وغادرنا بسيارته وسط الحشود من الناس لم يدلِ للصحفيين بكلمة واحدة وفتح لي باب السيارة وقال: لا تنظري لعدسات الكاميرا إنهم حمقى يسعون للشهرة على حسابي.

وذهبنا للبيت ودخلت الغرفة صعدت على الفراش لينهي صمتنا بكلماته: كنت تختبرين حبي لك بسلامة جسدك تغامرين في الخطر يا سلمى وتسعين لقتلي بالبطء متعمدة ماذا حل بعقلك لأعيش سبع ساعات تحت رحمة دقات الأجهزة في المستشفى وأبدو غبيا أمام الاطباء من شدة خوفي؟

-كيف تغلبت عليهم اليوم؟ وكيف مر الأمر عليك ولم يحدث شيء ولم يأت الحراس للبيت؟ ما الثمن وراء صمتهم عن وجودى؟

-قلت لهم إنك زوجتي فهل توافقين على الزواج مني؟

لم أتأكد من سماع ما قال جيدًا لا بد أنه الوهم لانتظاري هذه الكلمة ليقاطع تفكيري: صحيح نسيت أنك لم تعترفي حتى بحبك لي، جبانٌ أنتِ، كيف ستقبلين عرض الزواج؟

-هل سمحوا لك بهذه السهولة مقابل كلمة زواج أن أبقى هنا؟

-كنت قد خدمت المؤسسة الحكومية هنا لمئات من السنوات أنا وعائلتي وقدمت الكثير من أجل الوطن وفي الشهور الأخيرة قد قدمت بما يكفي مقابل الحفاظ على حبي كنت رجلًا

مشغولًا عن حبيبتي من أجل أن تبقى بجواري ولا ترحل.

-قدمت ماذا؟! أنت تخفي عني شيئًا أشعر بكذبك.

-تملكين جهاز استشعار في عينك إذن لا أكذب قدمت ما يجعلك هنا بقربي بأمان.

-ما هو إذن غير تضحياتك؟

-قدمت الكتب إرث عائلتي الهام لا حاجة لي به.

تذكرت أن العجوز قال لي إنهم مستعدون لدفع أي شيء مقابل فك شفرات هذه الكتب ليصلوا من خلالها للسفر عبر الكواكب واحتلالها وجعلها تحت سيطرتهم والحصول على الكنوز وأن مفاتيح الكتب كانت الدم المخزن بجسده لهذا إن حصلوا على الكتب سيقدم لهم دمه حتى الموت مقابل تصفح الكتب.

إن الكتب تجيب على كل سؤال يكتبه الباحث فيها لأنها فارغة تكتب السؤال بدم العائلة المالكة للكتب لتصلك الأجابة بكل تفاصيلها.

-كيف ستكمل مشروعك في صنع الإنسان الآلي؟ وكيف تقدم لهم ما حافظت عليه لسنوات؟ ومن سمح لك؟ أنت لم تشاورني في الأمر وكأني لا شيء بالنسبة لك مقابل ماذا؟ دم منك حتى تنتهي حياتك بآخر قطرة دم لتفتح الكتب هل تظن أن فعلك هذا كان الصواب؟ أجبني مقابل ماذا تطيح بكل ما حافظت عليه وأنت تعرف أني في نهاية الأمر سأحاول البحث عن طريق للعودة لوطني؟

-مقابل امرأتي حتى وإن تخلت عني سأسعى جاهدًا للذهاب لها أينما كانت.

-متي قبلت عرض زواجك لتقول عني امرأتك؟

-منذ دخولك لهذا البيت وأنا أعرف أنه مقدر لك أن تكوني امرأتي.

-وكيف عرفت ذلك؟

-الحقيقة قال لي ماكو الكوارث على وشك الحدوث فعرفت أن ما من كارثة أعرفها غيرك.

-هل سلمت الكتب كلها؟

-لا وقعت عقد تسليمها لكن سيتم التسليم في نهاية الأسبوع لا تقلقي ما زال بإمكانك تصفحها كما تحلمين لآخر الأسبوع نستمتع معًا بها.

-هل كنت تمهد لهذا من قبل؟

-منذ أخذتك من بيت العجوز ودار الكثير من القضايا السرية في الدولة بهذا الشأن حتى أن إنني اتهمت ظلمًا من قبلك سيدتي الصغيرة بالإهمال وانتهاء الحب.

-ألم تشتاقي لي فثمة من يحتاج لعناق ويجلس أمامك راجيًا رضاكِ عبر عناق فقط؟

قلت له: أتعرف قالت لي جدتي عن الشوق: ما فضحت سر قلبي وتكتمت عليه حتى ظهر لي شوق المحب فأفصحت. أنا والله أشتاقه مثلما يشتاق بل أكثر.

-جدتك جميلة ولكن لست من أصحاب الكلام المعسول مثلها.

-غبي لم يفهم أني أريد إخباره بشوقي له وحقًا منذ متى يفهم الرجال ما تريد النساء حتى رجال هذا العالم أغبياء حين نترجم لهم الحب عبر الإشعار وكلمات الحب من فم الكبار؟ أنا اشتقت إليك هل تفهم هكذا؟

لتنتهي الليلة كلها بعناق كنت قد نسيت أن لي وطنا بداخل هذا الرجل غفوت داخل معطفه منكمشة به كالقطة التي تشعر بالبرد في الشتاء حتى وجدت مكانا دافئا ونامت.

استيقظت فزعة على صوت الحراس يحاوطون الغرفة حولنا لم يستمعوا له كنت أرتجف وأقف خلفه ممسكة بيدي بمعطفه وباليد الأخرى ممسكة يده بقوة كنت خائفة أن يسحبوه معهم للسجن.

حاول أن يتحكم في عصبيته لكنه لم يقاوم تهجم الحراس عليّ وقال: إن لم ترحلوا سأضعكم جميعًا في السجن، من سمح لكم بالدخول بلا إذن لمنزلي؟ جميعكم معاقبون.

ضغط على يدي بقوة: أنا معك لا تخافي حتى لا أتهور عليهم أكثر من ذلك.

ابتعد الحراس عن طريقه وقال أحدهم: يطلب الرئيس رؤيتك وحدك دون هذا المخلوق الغريب.

أخبروا الرئيس إن أراد رؤيتي فإني أنتظره هنا لا أستطيع تركها بمفردها إما أن تأتي معي أو يأتي الرئيس لهنا.

انسحب الحراس من المنزل وأصابتني حالة غريبة من الوجع انتهت بصراخ لا يتوقف خوفًا منه ومن كل شيء يحدث حولي. حاول حل الأمر لكنه فشل حتى طلب من ماكو أن يستعين بالعم العجوز ليأتي لرؤيتنا بسرعة.

حوالي ساعة من الصراخ كان فيها داخل مكتبه يتلاشى النظر لي حتى أتى العجوز وحاول تهدئتي: ماذا بك يا سلمى؟

-أخرجني من هنا أريد العودة لعائلتي أرجوك أتوسل لك ليس لدي ما أقدمه لك لكن ساعدني مقابل أي شيء سأرسل كل

رسائلك لعائلتك وسأبلغهم بما تريد قوله يا عم أرجوك بحرقة.

فما كان بيده حيلة سوى أن يقول: سوف نصلح الأمور وتعودين للبيت يابنتي لا تقلقي.

كان يبكي في الغرفة فدخل له العجوز حتى زاد بكاؤه وسمعته يقول: لا أقوى على تركها غنها الروح لروحي لكن لا مفر يريد الرئيس تسليمها اليوم ليستجوبها في أسئلة دون حضوري ولن أسمح بذلك. هي صغيرتي لا تعرف فعل شيء من دوني ساعدني لأتزوج بها الآن حتى لا يحق للعدالة سؤالها عن شيء أو استجوابها بعيدًا عني.

خرج من المكتب وسحبني بقوة من يدي ودخل المكتب وأخذ كتابا من المكتبة ووضعه على المكتب وقال: لا وقت لدي لعرض الزواج، فقط تزوجيني الآن سواء رفضت أم قبلت لا مفر لن أتركك تحت سلطتهم أبدًا.

غلاف الكتاب حديدي مرطب عليه دائرة حديدية وضع أصبع الإبهام في وسط الدائرة الموجودة على غلاف الكتاب. وخزة بسيطة شعرت بها ووضع أصبعه أيضا ثم قال: الآن ننتظر أن يعلن الكتاب انضمامك لعائلتي.

ترك يدي لأجد الدم على الأصبع نظرت له قال: لا تخافي، ثقب بسيط لتوقيع عقد الزواج ودارت الدائرة بسرعة وبصوت يشبه عجلات القطار في مدينتي وفتح الكتاب ليسجل في الصفحة التي ظهرت أمامنا باللون الأحمر الآتي:

تزوج السيد (سامي) قاضي العدالة في الكوكب الأخضر من بشرية من كوكب الأرض (سلمى) مخالفًا لأول مرة كل قوانين الكوكب. يدون في هذا اليوم بالدم أنه لا خلاص لك منها حتى

الموت.

لم يستوعب عقلي ماذا حدث لكن السعادة كانت تطفو على كل وجهه احتضن العجوز وبارك له ولم يتحدث لي طوال هذا اليوم.

وفي الصباح أحضر لي ملابس وقال: إن السيدة التي تعيش في المنزل المجاور قد قامت بصنعها لي وهو قدم شكره لها بدلًا مني.

فستان أسود مرصع بالورد الأبيض كان أجمل من كل الفساتين التي رأيتها على مواقع الإنترنت فى الأزياء العالمية ورائحة الورد كانت أجمل لم أعلم إلى أين نتجه؟

ذهبنا لمكان فيه بحيرة صغيرة والكثير من الزرع وقال: هنا كانت تقضي أمي عطلتها هي وأبي وأنا معهما لقد كنت صغيرًا ولا أتذكر شيئًا سوى حبي لهذا المكان وأصطحبك هنا لأنك أصبحت جزءًا مني يا زوجتي.

ما انتهت عطلتنا في هذه الجزيرة الصغيرة أبدًا على خير، احتشد الحراس حولنا وتم وضع السلاسل في قدمه ويده وأخذونا سويا بعد ما علم الرئيس بقضية الزواج وتم وضعنا في السجن. غرفة سوداء اللون ليومين لم أنطق فيهما حرفا لكنه لم يتوقف عن الكلام ظل يحكي عن طفولته وحبه لأمه وأنها عاشت هنا في هذه الغرفة حتى رحلت روحها للسماء لم تتحمل العذاب ولم يكن لدي مفر من الموت. أعرف أنه كان يمهد لي ذلك طلب مني السماح وقال: كنت أعمل أنا والعجوز على فكرة لو نجحت سيتم استرجاعك من هنا لعالمك وقبل الحكم علينا بأي شيء.

-وماذا عنك هل ستعود معي؟

-لا يهم أنا الآن، المهم أن تعودي لعائلتك.

-لا حاجة لي بالعودة ولا الذهاب لأي مكان من دونك

-قد فات آوان ما تتحدثين به، يعرف العجوز كيفية التصرف لا تقلقي لنمضي الليلة سويا نسترجع ما مضى من لحظات سعيدة لدي الكثير لأخبرك به.

دخلت أمي الغرفة وجدتني حاملة الدفتر والدموع تنهمر من عيني جلست بالقرب مني وقالت: هل كل ما كتبتِه في الدفتر له علاقة به؟

في مكان لا أتذكر ملامحه جيدًا لكن في أحلامي أسأل أين أنا؟

يأتي صوت في مكتب صديقك السري: كتبت كل ذلك حين تم تهريبك ليلًا من السجن.

قالت أمي: نحتاج للخروج اليوم أنا وأنت لزيارة مقابر جدتك كما وعدتك وبعدها ستحكين لي عنه أحتاج أن أسمعك وأظنك بحاجة لتشاركي أحدا ما يدور في خيالك.

هل حقًّا سنذهب لزيارة جدتي أخيرًا؟

هذا الخبر بدّلَ ما كنت أعيشه من حالة الاكتئاب لهدوء نفسي وكأن جدتي ستعود للحياة من جديد. آخر زيارة لها كانت السبب لانتقالي لعالم الرجل الذي أحببته.

ظننت أني سأعود مجددًا لأراك عبر تلك الزيارة، وذهبنا للمقابر أنا وأمي لم تسمح لي أمي بخطوة من دونها وقفت على باب المقابر أتذكر كل ما حدث هنا في آخر مرة وكيف لحق بي الكلب الأسود وسقوط الحصيات الثلاث وأخذت أفتش على الأرض على الحصيات ربما أجمعها وأعيد نفس المشهد لأنتقل لعالمك لم أجد الحصيات وقد خابت محاولتي الأولى للبحث عنك.

هل تتذكر كنت قد أخبرتك أني تركت رسالة لجدتي على بابها في المقابر وما زالت هنا لكن لم يعد للكلام أثر كما لم يعد لوجودك أثر في حياتي.

رفيق القلب وحبيب أولي لا ينسى ولا يحل محله أحد مهما مرت الأيام ستظل الرجل المفضل لي أنا هنا في عالمي لكن قلبي في عالمك لن يتخلى عنك سيفتش كثيرًا حتى يجدك.

-أمي علينا العودة للمنزل لقد فهمت أن جدتي لم تمد لي يد العون فهي لم تعد قادرة على مساعدتي لعلها لو كانت تشعر بي ستطلب من الله أن ينجدني ويدلني على طريقك.

في طريقنا للعودة كان يهدم بيت كبير كنت أحب النظر له يشبه قصرا صغيرا، أبي يقول عنه: إنه قصر لطبيب وعائلته غادروا المدينة منذ كنت طفلة الآن تذكرت بيتا قريبا من المقابر كان عيادة الطبيب هل هذا ما قصده العم العجوز؟! هل هذا بيته؟

-أمي هل يسمح لنا بالدخول قبل هدم هذا البيت؟

-الأرض صارت ملكا للدولة لا يحق لنا الدخول.

حاولنا ولكن لم يسمحوا لنا قالوا: المنزل سيسقط وحفاظًا على أرواحكم لا دخول.

أصاب عقلي جنون، وعدنا للمنزل ففتحت الدفتر وقرأت ما قاله العم العجوز، أنه ترك يومياته لحفيدته التي حاولت أن أعرف من أبي تفاصيل تلك الحكاية.

-أبي هل تعرف هذا الطبيب جيدًا؟

-إنه صديق جدك كان مشهورًا هنا في القرية لكن رحلت عائلته منذ اختفائه اختفى يوم ولادتك؟

-يوم ولادتي؟

-أتذكر كنت مع أمك في المستشفى ووصلني من جدك خبر اختفائه وفتشت العائلة عنه لسنوات وكان له حفيدة صغيرة تنتظره عند باب المنزل كل يوم كما تعودت لكنها كبرت وفقدت الأمل بعودته ومن كثرة الإشاعات ترك أهله البلد ورحلوا.

ظل جدك على تواصل معهم ولكن حدثت مشاكل قالوا إن هذا الطبيب كان يبحث عن كنز كبير وأخذته العصابات وقتلوه وألقوا بجثته في النيل حتى تعرض جدك بسببهم لضغط وأذية في عمله لأنه صديقه ظنوا أنه يشاركه السر في أبحاثه. اسم حفيدته نفس اسمك.

-أبحاث؟

-أبحاث عن تحويل الحصى لذهب.

-تحويل الحصى لذهب! أبي لهذا قلت في مركز الشرطة إنك تتهم من آذوا جدي سابقًا بأنهم قاموا بخطفي؟ ما علاقة الأمر بي؟

-ظنوا أنك حفيدته لكن اكتشفنا مؤخرًا أن عائلته بأكملها قد فقدت ولا أثر لهم لهذا قال الشرطي بأن العصابة ربما عرفوا أنك لست حفيدته فتركوكِ.

-ما هذا هل ماتت عائلة العم العجوز كلها؟ أبي ترك الطبيب يومياته في هذا المنزل أريد الحصول عليها؟

-لا صحة لما تقولينه لا نريد فتح هذا الموضوع مرة أخرى وما شأنك بحكاية هذا الرجل؟ الناس لم تتوقف بعد في الحديث عن قضية اختفائك ولو تفوهت بالخرافات مرة أخرى سأدخلك المستشفى.

دخلت غرفتي ماذا سيحل بالعم العجوز لو عرف أن العائلة بأكملها قد اختفت ربما لكوكب آخر أو رحلت أرواحهم للسماء

وكيف لم يخبرني العجوز عن صديق له؟ كل كلامه كان عن حفيدته.

إذن التقيت بصديق جدي وجدي لم يترك لي يوميات بل كانت يوميات العم العجوز لحفيدته وهل كان انتقالي للعالم الآخر كضحية؟ وحين عرفوا أني لست حفيدة لهذا العجوز أعادوني لوطني؟

طرقت أمي الباب ودخلت تعتذر عما بدر من أبي وأنه يخاف علي من كلام الناس ولا يتحمل فقدي مرة أخرى ولا حتى فكرة رجوعي للمستشفى.

سألتها لو تبقى لدينا كتب جدي القديمة أحتاجها

قالت: إنها في المخزن وهو في الدور الأرضي لمنزلنا نخزن فيه أشياء لم نعد نريدها ولكن نحتفظ بها كألعاب أخي وهو صغير والدراجة التي أصابت أخي بالهوس. في فترة ما كان يشتري كل عامين دراجة جديدة حتى ظننا أنه سيفتح محلا كبيرا لتصليحها لكن لقوا مثواهم الأخير في المخزن ككل الأشياء القديمة في بيتنا.

-أمي هل تستطيعين مساعدتي بإخراج كل هذه الكتب من المخزن؟

-حين يرحل والدك لعمله يمكننا فعلها معًا.

انتظرت في اليوم التالي حتى حل الصباح ورحل أبي لعمله كعادته لا يعرف كيف يرضيني إن لم أبدأ حديثي معه أولًا.

نزلنا للمخزن وحملنا كل الكتب واصطحبنا برفقتنا العنكبوت وشبكته الضعيفة من المخزن للبيت فمرحبًا بك زائرا لبيتنا أيها العنكبوت الصغير هل قرأت كتب جدي قبلي؟

حاولت تنظيف الكتب من التراب وأثر العنكبوت ووضعتها على الأرض بجانب السرير ورتبت الغرفة وذهبت للاستحمام للتخلص من هذه الأتربة التي حلت على ملابسي وجسدي من المخزن وفي المساء عاد أبي وقررت أن أبدأ الحديث معه أولًا.

-أبي كيف حالك؟

بكي واحتضنني بشدة: يا حبيبة أبيك أحبك جدًّا ولا أحد سيخاف عليك كما يخاف والدك سامحيني لو غضبت عليك ليلة أمس.

إنه أبي لا يتغير أبدًا كما قالت جدتي عنه: عصبي وطفولي ورجل بمعنى الكلمة وخير السند لكن يحتاج دائمًا لمن يفهم قلقه وحيرته. هو أيضا يشبه أبي بكل شيء لكن يختلف عن أبي بشيء واحد فقط أنه من يقدم الاعتذار لي أولًا.

تناولت العشاء مع عائلتي وعاد كلٌّ منا لغرفته للنوم وعدت أنا للبحث في كتب جدي كنت أفتش في الكلمات التي كان يكتبها بين السطور كملاحظات في كتبه ولكن غلبني النوم ولم أجد جدوى من البحث في عشرات الكتب.

في الصباح استيقظت وعدت لأكمل البحث في الكتب حتى عثرت بين الكتب على دفتر يشبه دفتري ويحمل نفس الخط الذي كتب به العجوز لي رسالة سابقًا في الورقة التي أرفقت بالدفتر الخاص بي.

كان هذا دفتر العجوز ويومياته لحفيدته وما سر وجوده مع جدي؟

فتحت الدفتر الذي فقد منه الكثير من الأوراق وتبقى جزء صغير منه قديم ولا يظهر الخط كله بشكل واضح أخذت في

القراءة ببطء حتى تمكنت من تجميع هذه الكلمات:

(حفيدتي قد أشتاق لك ولكن المهنة تحملني الكثير من الواجبات التي يجب أن أقدمها للمرضى ستفتخرين بي يومًا ما وأعمل على بحث لو نجح لحقق جدك الشهرة التي يحلم بها وضمن لك العيش كأميرة في هذه المدينة...)

كانت مهمة تجميع هذه الكلمات صعبة لم تقدم لي يوميات العم العجوز أي نصيحة للعثور على طريقة لعالم الكوكب الأخضر وكأن حمل الكتب من المخزن والبحث فيها كله كان مجرد محاولة فاشلة مني، المحاولة الثانية تثبت أن الطرق مسدودة.

اتصلت بصديقتي ريم لأخبرها بكل الاحداث التي مرت لتضحك قائلة: كيف حال المجنونة؟

كنت أحتاج سماع صوتها لأخفف من الضغط على أفكاري للعودة للبحث مجددًا.

أغلقت معها وتناولت الغداء وفتحت الدفتر الخاص بي:

لو عدت لمنزلك هل ستتذكرين أني أحبك وهل ستعيشين من دوني وستتزوجين شخصا آخر؟ لو فعلت ذلك يا سلمى لعدت لقتلك في الحال وقتله وتزوجت فتاة من عالمك انتقاما منك.

كان يضحك وربما يبكي لم أحدد كان الجو مظلمًا حتى نزلت دموعه على يدي لم أشعر بشيء بكيت فصمت ليحتضنني قائلًا: أنا معك لو لآخر العالم سأعود للبحث عنك لا تبكي يا صغيرتي.

حتى فتح باب السجن وتم أخذه بعيدًا، صرخات لا تنتهي أناديه وينادي علي: لا تخافي سأعود.

في اليوم التالي زارني العجوز في السجن وقال: إنه في الليل علي الذهاب مع الحراس دون عنف أو مشاجرات.

وبالفعل أتى الحراس وأخذوني وذهبت بصمت معهم لأجدني خارج السجن ظننت أنه تم الإفراج عنا وهو ينتظرني لكن وجدت العجوز. أعطاني الحصيات الثلاث وقال: لا تفكري بالعودة يا صغيرة اليوم عيد ميلادك يوافق يوم رحيلي لهذا العالم سينقلك الحراس للعائلة الراحلة لنقلك لعالمك. وفقدت الوعي ولا أعرف ما حدث بعد ذلك؟

باقي صفحات الدفتر فارغة، ما الذي حدث حتى لا أكتب بكل هذه الصفحات؟ وكيف عدت للوطن؟ حتى وجدت آخر صفحة مكتوبا فيها: بعد كل هذه الأيام سيسلمني المستشار اليوم لعائلتي.

عن أي أيام أتحدث؟ ومن المستشار؟ وما الذي حدث؟

لا أتذكر شيئًا على الإطلاق ولا أعرف من هو المستشار؟

حالة من الذهول أصابتني والصدمة خرجت من الغرفة لأمي:

-كيف عثرتم علي؟

قالت: سلمتك الشرطة لنا بعد تحريات دقيقة من نقلك للمستشفى؛ فقد وجدك رجل فلاح على الطريق في أثناء ذهابه لأرضه في الصباح ملفوفة في معطف طويل.

-معطف؟! أين هو المعطف؟

-إنه هنا في المخزن.

نزلت بسرعة للمخزن وسحبت المعطف وكأنني وجدتك. حضنت المعطف ببكاء: إنه ملكه أمي.

قالت: كان الدفتر بداخله وملفوفة به ويحمل رائحة خشب الصندل لكن لم تتعرفي علينا جيدًا غير في الدقائق الأولى لتدخلي في غيبوبة لعام كامل وإثرها تلاشى الكثير من ذاكرتك ومع الوقت بدأتِ في التحسن.

-أمي أريد البحث عن الرجل الفلاح الذي وجدني من فضلك.

بعد أيام من محاولة أمي التحدث مع أبي في هذا الموضوع ورفضه الشديد أخيرًا استعان أبي ليرضيني بصديقه في مركز الشرطة للوصول لعنوان الرجل الذي عثر علي. وأخيرًا قررنا الذهاب لبيت الرجل، لقد مر عامان ونصف تقريبًا هل سيتذكرني؟

ذهبنا لهذا البيت فتحت لنا سيدة عجوز واستقبلتنا بكل حب كعادة الفلاحين أصحاب القلوب الطيبة، في بيتهم تشعر بالأنس والدفء وكأن الدنيا هنا لديهم جزء من الرحلة للوصول للجنة طيبة القلوب وشقاء الحياة وصبرهم بعيدا عن زحمة المدينة وضوضاء حركات الناس والسيارات في الشارع؟

سألتها عن صاحب البيت قالت: ذهب؛ فاليوم حصاد محصول الأرز

-هل سيتأخر يا جدتي؟

قالت: يسلم لسانك الحلو لن يتأخر ساعتان وسيأتي.

انتظرناه حتى عاد لم يتعرف علينا حتى وضح أبي له الأمر لكن نظر لي وقال: أنت تلك الفتاة التي قابلتها من عامين صحيح لن أنسى هذه البقعة الزرقاء التي كانت على يدك.

كانت تلك البقعة الزرقاء كما قيل لي من الكدمات التي بقيت في جسدي عند العودة. رحب بي جدًّا وصمم أن نتناول العشاء معه وأخبرته أني تأخرت على شكره لكن لم أعرف أنه من أنقذني.

قال: قدمت عائلتك لي كل الشكر والمال لا حاجة لشكري.

حاولت أن أسمع منه كيف عثر علي بالضبط قال: يسكن بعيد عن بيتنا بمئة متر رجل كان يحاول أن يطمئن عليك من نشرات الأخبار كان ساعدني لحملك لبيتي حتى تأتي الشرطة لتصطحبك

لبيتك لكن لم يكن يحب أن يذكر اسمه وترك لي الحصول على المكافأة كلها هذا الرجل لا يخرج من بيته كثيرًا ومعتكف منذ أتى لهنا.

-من هذا الرجل يا عم؟

-إنه مستشار مشهور لكنه ترك عمله واعتكف وحيدًا هنا.

-هل يمكنني زيارته يا عم؟

-لا أعرف يابنتي لكن من الممكن أن نجرب؟

كان أبي يعترض على هذه الزيارة لكن أمي قالت له: إنه طلبنا الأخير. فتركنا أبي نذهب مع الرجل وزوجته لمنزل الرجل وفي الطريق قالت الجدة العجوز: إنه هنا منذ ثلاث سنوات لا يزوره أحد ولا يتكلم مع أحد لكن في الليلة التي انتقلت فيها لهنا كان قلقا عليك وظل هنا حتى علم بقدوم الشرطة فرحل وقال: المكافأة حلال عليكم.

طرق الجد العجوز باب البيت ونزل رجل عجوز يحمل نفس رائحة خشب الصندل ورحب بنا بشكل رسمي وسألنا: ما الأمر من هذه الزيارة؟

سألته: هل أنت المستشار؟

نظر بتمعن لي وقال: مرحبًا يا صغيرة ما زلتِ بخير الحمد لله على سلامتك كيف حال قلبك؟

-هل تعرفني يا سيدي؟

-هل نسيت صديقك السري؟

-صديقي السري؟ إذن لم يكن حلما هناك حقًّا صديق سري.

هنا كتبتِ ما تبقى من يومياتك، تعالي اصعدي المنزل أعرف أنك تعانين من تلاشٍ في الذاكرة نتيجة تناول الأدوية للعودة. كنت

أنتظر بحثك عني حتى فقدت الأمل تأخرتِ بالبحث عني.

-أدوية للعودة؟! مؤكدًا هذا الرجل يعرفني من يكون يا ترى؟

صعدنا أنا وأمي والعجوزان المنزل ليحكي لي الرجل عن انتقالي لهذا العالم عبر جهاز صغير صنعه الطبيب ليضحي بروحه مقابل روحي لكن خرج جسدان وروحان معًا لهذا العالم كنت الجسد الأول ووعد المستشار العجوز الاعتناء بي.

قال لي المستشار بأني مكثت بمنزله شهر أردد: لن أتركك، لا ترحل، لقد وعدتني أنك لن ترحل.

وشرح لي المستشار أنه ساعدني على الكتابة فقد عدت بثلاث من الحصيات ودفتر ومعطف وسلسلة صغيرة تحمل شكل عقرب تذكرت الخاتم الذي كان يرتديه وقبعته وجيب معطفه يحمل نفس العلامة. أعطاني المستشار السلسلة.

سألته أمي عن الجسد الآخر الذي انتقل معي لعالمي: هل هو جسد العجوز؟

قال المستشار: لا العجوز فقد الحياة على مشارف الانتقال من كوكب لآخر ضحى بحياته من أجل حرية الجسدين معًا.

-إذن لمن يعود الجسد؟

-لشاب في ثلاثينيات العمر منحك الكثير من دمه لتعودي للوعي كان ملهوفًا لعودتك لمنزلك لكن لم يستمر على قيد الحياة طويلًا سقط على الأرض بعد مساعدتك قال: إنه علي توصيلك للمنزل. ومنحت الجد العجوز هذا مقابل المال، رجل فقير أحق بالمكافأة التي فرضتها عائلتك لمن يحصل عليك.

-هل مات الشاب الذي كان معي؟

-غريب الأطوار لا يتحدث كثيرًا يعيش هنا في المنزل معي منذ

عام كان فاقدًا للوعي ومحطما جسده. لقد عانى الكثير إثر انتقاله لعالمنا لم يمت لا تقلقي.

-أين هو؟

-في الطابق الأعلى الغرفة الثالثة على اليسار لا تذهبي لن يسمح لك بالدخول إنه عصبي جدًّا ولديه مرض في عينه ترجف جفونه بكثرة لا يرى بشكل جيد ولا يتقبل الكلام مع أحد إنه يعيش منعزلًا هنا لم يخرج منذ عودته من المستشفى.

-أرجوك أيها المستشار إنه من أبحث عنه أثق من ذلك أرجوك أريد رؤيته.

-لن يساعدك أحد على التخلص من يده قد يقتلك لا يتحكم في أعصابه، لا تتذكرين شيئًا قد مكثتِ هنا تكتبين في دفتر يومياتك ووعدتِني أنك ستعودين للبيت ولن تبحثي عنه.

-أنا لا أتذكر شيئًا مما تحكيه أنت أيها المستشار.

ترك لي العجوز رسالة لك اقرأيها أولًا:

فتحت الرسالة: سلمى لا أعرف إن كنتِ ستنجين من السفر أم لا لكنه ضحى بكل شيء مقابل العودة معك. إن كتب لكما العيش لا تتخلي عنه أبدًا ولا تندمي على ما حدث لي. أنا رجل كبير في السن من الأساس كنت ميتا، المهم أن تعودي لعائلتك فور عودتك لقراءة هذه الرسالة يعني أنك تقبلتِ الأمر وفي طريقك لنجاته من وحدته دونك. الكثير من ورق الدفتر تم إزالته فلا حاجة لتقرأي ما كتبته لتعيشي بسلام يا جميلة.

لم تسمح لي أمي ولا العجوزان حتى بكيت متوسلة للمستشار وأمي فقررت أمي الصعود معي والمستشار وتراجع العجوزان.

صعدنا الطابق العلوي فطرقت باب الغرفة الثالثة وقلبي نبضاته أسرع مني لكن لم يسمع، كان صوت الموسيقى أعلى.

قال المستشار: إنه معجب بهذه الأغنية لسيدة الغناء: أم كلثوم.

-مؤكدًا يعرفها لقد غنيت له إحدى أغانيها من قبل لكن لم أنتبه لهذه الأغنية إلا حين وقفت أمام الغرفة كانت أول مرة لي أسمعها.

عودت عيني على رؤياك وقلبي سلم لك أمري
أشوف هنا عيني بنظرتك لي...
وألقى نعيم قلبي يوم ما ألتقيك جنبي

فتحت باب الغرفة ودخلت. كان يحمل نفس الخاتم في يديه جالسا على الكرسي وظهره للباب وتواصل أم كلثوم وصلتها في الأغنية:

وان مر يوم من غير رؤياك ما ينحسبش من عمري
قربك نعيم الروح والعين ونظرتك سحر وإلهام
وبسمتك فرحة قلبين عايشين على الأمل البسام

ليتحرك من على الكرسي وأنهار بالدموع. إنه هو يلتفت لنا وينظر وأسمع صوت جفونه وأسقط على ركبتي من عدم التصديق ليتحرك مسرعًا من على الكرسي لينظر لي بتعجب وبتمعن ويقترب لتواصل أم كلثوم مقطعها الثالث:

إن غبت يوم عني أفضل أنا وظني
يقربك مني ويبعدك عني
أحتار بأمري وروحي معاك وإن مر يوم من غير رؤياك
ماينحسبش من عمري

أتحسس بيدي على وجهه ليبكي وتهدأ حركة عينه ليحتضنني بشدة قائلًا: مؤكدًا كنت سأموت هنا من دونك المهم أني في نفس الأرض التي تتنفسين عليها سلمى قد تغيرت كثيرًا عبر انتقالي لعالمك هل حقًّا وجودك هنا حقيقة؟

تعاود الست أم كلثوم تردد:

لو كنت خدت على بعادك كنت أقدر اصبر واستنى
واسهر على ضي ميعادك لما الزمان يجمع بينا
أبات على نجواك واصبح على ذكراك
واسرح وفكري معاك لكن غالبني الشوق فى هواك

ليدندن معها قائلًا:

زرعت فى ظل ودادي غصن الأمل وانت رويته
وكل شيء فى الدنيا دي وافق هواك أنا حبيته
ومهما شفت جمال وزار خيالي خيال
إنت اللى شاغل البال وانت اللى قلبي وروحي معاك
وان مر يوم من غير رؤياك ما ينحسبش من عمري

قال المستشار: أخيرًا قد أصبحت شخصًا طبيعيًّا بعد هذه المدة الطويلة.

-انظر إنها أمي من صدقت بوجودك لقد كذبني الكل أين كنت؟ سوف تحكي لي عن كل شيء لماذا لم تبحث عني كما بحثت أنا؟

تناول مني خبطات على كتفه وصدره بكل قوة ولم يصدر أي رد فعل حتى قال: دعينا نسمع ماذا تريد أن تقول السيدة أم كلثوم ونكمل حديثنا:

ويوم ما تسعدني بقربك ألاقي كل الناس أحباب
ويفيض علي نور حبك أقول مفيش فى الحب عذاب
الحب كله نعيم لا فيه عذول بيلوم.. ولا فيه حبيب محروم
يا ريت يدوم للقلب صفاك واقضي طول العمر معاك
دا إن مر يوم من غير رؤياك ما ينحسبش من عمري

انتهت أم كلثوم من وصلتها الغنائية حتى قال: هل توافقين على الزواج مني في عالمك؟

-هنا الزواج ليس أمر سهلًا كما تظن، لدي عائلة ومدينة بأكملها تنتظر منك توضيحا لحالتي وحتى ريم صديقتي تنتظر اختبارك هل أنت شخص عادي أم جني مسحور؟

يتبع....

تمت بحمد الله تعالى....